العتبات في رسالة التوابع والزوابع
لابن شهيد الأندلسي
بين الحضور والغياب

الباحث

محمد صبحي عبد الفتاح الجمال

أستاذ الأدب والنقد المشارك بجامعة جازان

أستاذ الأدب والنقد المساعد بجامعة الأزهر

العتبات في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي بين الحضور والغياب

محمد صبحي عبد الفتاح الجمّال

أستاذ الأدب والنقد المشارك بجامعة جازان

أستاذ الأدب والنقد المساعد بجامعة الأزهر

الملخص :

حظيت العتبات باهتمام الباحثين قديما وحديثا لأنها تسلط الضوء على مضمون النص وتأخذ بيد القراء للتعرف عليه بأدنى جهد وأيسر طريق.

ولما كانت رسالة التوابع والزوابع من أقدم النماذج السردية في الأدب العربي فقد ناسب ذلك أن تتم دراستها من هذه الزاوية وبخاصة أنها شهدت حضور عدد غير قليل من تلك العتبات كالعنوان والاستهلال بالإضافة إلى عدد من العتبات الموازية، ويتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس:

أما التمهيد فيتكون من قسمين: القسم الأول: أضواء على شخصية الكاتب القسم الثاني: العتبات؛ الرؤية والتأصيل.

المبحث الأول: عتبة العنوان وهو (التوابع والزوابع) الذي يدل على القوة المفرطة والتخيّر البارع والترابط المحكم بين العنوان والمتن سواء في ذلك العنوان الرئيس والعناوين الفرعية.

المبحث الثاني: عتبة الاستهلال؛ ومن خلالها يشير ابن شهيد إلى دواعي كتابته لهذا النص ويسلط الضوء على مضمونه ومحتواه، ولقد آتى

الاستهلال ثماره وهيأ المتلقي لاستيعاب ما يسوقه الكاتب من أحداث أسطورية وحكايات عجائبية.

المبحث الثالث: العتبات الموازية؛ وهي تقابل ما سماه جينيت مناص الناشر أو ما يسمى بالنص الموازي ويشمل كل ما يتعلق بالنص المركزي لكنه يأتي مصاحبا له في إطار الكتاب الذي يحويه كالغلاف والعناوين والهوامش.

الكلمات المفتاحية: العتبات . التوابع والزوابع . ابن شهيد الأندلسي

Thresholds in the message of the minions and tornadoes of the son of shahid al-Andalusi between the presence and absence

Mohamed Sobhi Abd El , Fattah Al , Jamal

Associate Professor of Literature and Criticism at Jazan University

Associate Professor of Literature and Criticism at Al-Azhar University

Abstract:

The thresholds have received the attention of researchers, in ancient and modern times because they shed light on the content of the text and helped the readers to identify the meaning of the texts with the least effort and by the easiest way.

Since the message of(Jenn and Whirlwinds) was one of the oldest narrative models in Arabic literature, it was appropriate to study it from this angle, especially since it witnessed the presence of a large number of those thresholds such as the title and introduction, in addition to a number of parallel thresholds.

This research consists of an introduction, a preface, three chapters, a conclusion and an index. The preface consists of two parts:

The first part represents highlights of the writer's personality. The second part tackles the thresholds; Vision and rooting.

The first topic: The threshold of the title, which is (Jenn and Whirlwinds), which indicates whether in the main title and sub-headings.

The second topic: the threshold of initiation in which the author indicates the reasons for writing this text and highlights its content and content. The initiation has successfully achieved its goals and prepared the recipient to grasp the legendary events and miraculous tales that the writer is actually depicting.

The third topic: parallel thresholds that correspond to what Genette called the publisher's targets, or what is called the parallel text .This includes everything related to the central text, but it comes accompanying and adjacent to the framework of the book including the cover, titles, and margins.

Key words: thresholds – Jenn and whirlwinds - Ibn Shahid al-Andalusi.

تقديم

أحمد الله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدا رسول رب العالمين، خير مبعوث إلى خير أمة بخير دين.

أما بعد

فإن رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي تأتي في طليعة الإرهاصات القصصية في تراثنا العربي؛ نظرا لما تتضمنه من أحداث وشخصيات وفضاءات زمانية ومكانية فضلا عن التنوع اللغوي بين السرد والحوار وغيرها من مقومات القصة الحديثة، ولا يستطيع القارئ الوقوف على أبعادها ومراميها دون أن يتخذ من العتبات ودلالاتها وإيحاءاتها سبيلا للولوج إلى تلك العوالم الخيالية بما يكتنفها من خفايا وأسرار.

وبالرغم من غياب عدد غير قليل من العتبات كالغلاف والإهداء والتصدير وغيرها من العتبات؛ فإن الرسالة تشهد حضورا متميزا لعدد من العتبات المهمة التي تسلط الأضواء الكاشفة على العوالم النفسية للكاتب والعناصر القصصية للرسالة، وفي مقدمة تلك العتبات: العنوان، الاستهلال، العتبات الموازية، وهنا تجدر الإشارة إلى إفادة الباحث من المنهج السيميائي الذي يهتم بدراسة العلامات والإشارات نظرا للتداخل بين العتبات التي هي علامات لغوية وبين والسيميائية.

هذا وقد حظيت رسالة التوابع والزوابع باهتمام عدد من الأدباء والباحثين، وفي طليعة البحوث والدراسات التي تناولت تلك الرسالة: البنية القصصية في رسالة التوابع والزوابع دراسة فنية، للباحثة الجزائرية كاميليا مرداس، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي دراسة سيميائية، للباحثة

سليمة عقوني، القارئ الضمني في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، للباحثين الأردنيين جاسم محمد عباس وعلي محمد عبد.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، تتلوها قائمة المصادر والمراجع ثم الفهرس، تناولت في المقدمة أسباب اختيار الموضوع والدراسات السابقة والمنهج المتبع.

أما التمهيد فيتضمن قسمين: القسم الأول: أضواء على شخصية ابن شهيد، القسم الثاني: العتبات؛ الرؤية والتأصيل،

أما المباحث الثلاثة فقد جاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: العنوان.

المبحث الثاني: الاستهلال.

المبحث الثالث: العتبات الموازية.

وأما الخاتمة فإنها توجز أهم نتائج البحث.

مستمدا من الله العون في كل حال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وسائر الصحب والآل.

التمهيد

أولا: أضواء على شخصية الكاتب

إذا كان المؤلف هو مبدع النص فإن النص هو مرآة المبدع التي تظهر سماته النفسية وعلاقاته الاجتماعية سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أم غير مباشرة.

وقد حظيت شخصية المؤلف باهتمام المناهج النقدية على مرّ العصور كالمنهج النفسي والمنهج الاجتماعي والمنهج التاريخي "وقد استند النقد الأوربي الكلاسيكي لمدة طويلة إلى مرآة المؤلف في تأويل النصوص وتوثيقها، لذا فصورة الأدب تتمركز أساسا حول المؤلف وشخصيته وتاريخه وأذواقه وأهوائه، كما أن الثقافة العربية الكلاسيكية ترفض أي غياب للمؤلف، فلابد من هويته الحضورية، ولكي يعد النص نصّا ينبغي أن يصدر عنه أو يرقي به إلى قائل يقع الإجماع على أنه حجة، حينئذ يكون النص كلاما مشروعا ينطوي على سلطة وقولا مشدودا إلى مؤلف"(١) وما دام المؤلف بهذه المثابة فإن ابن شهيد وسماته النفسية لا يمكن إغفالها في سياق هذا البحث وبخاصة أن شخصيته تطل من بين أسطره، وتتراءى ملامحه النفسية من خلال عباراته وألفاظه وبنائه الفني.

وابن شهيد (٣٨٢-٤٢٦هـ) هو أبو عامر أحمد بن أبي مروان من شهيد ثم من أشجع وهم بطن من غطفان، كان جد أبيه وزير الخليفة الأموي الناصر عبد الرحمن الثالث وأول من تسمى بذي الوزارتين في الأندلس، ولد أبو عامر في قرطبة وظل فيها منغمسا في حياة اللهو والترف ويطلق العنان

(١) شعرية النص الموازي جميل حمداوي ٢٥

لشهوات النفس ويدمن مجالس الشراب حتى اعتل في آخر أيامه دون أن يعطل لسانه أو ينقطع عن قول الشعر حتى مات وهو في الرابعة والأربعين من عمره(١).

ويعد ابن شهيد أحد الرموز الأدبية في بلاد الأندلس، ويكفي دليلا على ذلك قول صاحب الذخيرة "نادرة الفلك الدوار، وأعجوبة الليل والنهار، إن هزل فسجع الحمام، أو جدّ فزئير الأسد الضرغام، نظم كما اتسق الدّرّ على النحور، ونثر كما خلط المسك بالكافور، وقول أبي مروان بن حيان: كان أبو عامر يبلغ المعنى ولا يطيل سفر الكلام، وإذا تأملته ولسنه وكيف يجرّ في البلاغة رَسَنَه قلتَ عبد الحميد في أوانه والجاحظ في زمانه...)"(٢)

أما سبب تأليفه رسالة التوابع والزوابع فهو "الطعن على أنداده ومنافسيه من الوزراء والأدباء وأهل السياسة والقلم ثم المنافحة عن أدبه بالرد على غمزات نقاده ثم إظهار محاسنه وفضائله في المتقدمين والمتأخرين"(٣)، وقد سلك ابن شهيد في الرد على خصومه مسلكا فنيا نادرا حيث قام برحلة خيالية في عالم الجن والتقى توابع الشعراء والكتّاب معارضا إياهم بشعره ونثره واقتدر أن يظفر بإجازتهم له وإقرارهم بنبوغه وتفرده.

أما ملامحه النفسية فليس أدلّ عليها مما فصّله الدكتور زكي مبارك واصفا إياه بالشموخ والأنفة والكبر والاستعلاء وما ترتب على ذلك من ميل إلى السخرية والاستهزاء يقول: "وأخونا أبو عامر يسهل نثرا، ويطيل نظما،

---

(١) ينظر: رسالة التوابع والزوابع، بطرس البستاني١٢

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ت د. إحسان عباس دار الثقافة بيروت ١٩٩٧، ١٩٢

(٣) رسالة التوابع والزوابع ٧

شامخا بأنفه ثانيا من عطفه، مخيلا أنه أحرز السبق في الآداب، وأوتي فصل الخطاب، فهو يستصغر أساتيذ الأدباء، ويستجهل شيوخ العلماء، ولو انتقلنا إلى رأيه في نفسه لرأيناه مفتونا أشنع الفتون بما اعتقده من إجادة النظيم والنثير والتفوق البالغ على كتاب المشرق والمغرب"(١)

هذه الأوصاف وغيرها كثير ترسم صورة لابن شهيد قوامها الإعجاب بالنفس والفخر بالملكات والاغترار الشائن في كثير من الأحيان، وهذا ما يتجلى في صفحات الرسالة وفصولها، ومن أدلة ذلك أنه أسند لنفسه مهمتي السرد والتمثيل واستأثر بدور الراوي العليم والبطل الجسور، "وما إسناد ابن شهيد لنفسه هاتين المهمتين الصعبتين (السرد والتمثيل) إلا لأنه أراد أن يتعالى بنفسه ويعظم أناه، أو لأنه أراد تغليب (الأنا) الذي يمثل العقل على الـ (هو) الذي يمثل الغرائز، وكلك على (الأنا الأعلى) الذي يمثل المجتمع، فهو يرى نفسه فوق كل شيء، يؤكد ذلك أنه جعل لنفسه قدرة على محاورة شياطين الأدباء وليس الأدباء في ذاتهم فهو بهذا يريد أن يخرج عن نطاق مجتمعه ويخاطب فئة مختلفة عنهم"(٢)

إن ما رزئ به ابن شهيد من كيد الحاسدين قد أصابه بتضخم الذات وجنون العظمة فاختار هذا المسلك النادر ليؤكد تفوقه على الأنداد والنظراء من الكتاب والشعراء وسائر المبدعين ليس في قرطبة وحدها وإنما في المشرق والمغرب على حد سواء.

(١) النثر الفني في القرن الرابع الهجري، مؤسسة هنداوي د. ت ٦٦٩ بتصرف

(٢)رسالة التوابع والزوابع دراسة سيميائية ٨٩

وتنداح دائرة العجب وأمارات التفاخر والاستعلاء لتغطي فصول الرسالة وصفحاتها، وتكفي الإشارة إلى تعالق النص مع رحلة الإسراء والمعراج وما يحمل من دلالة على القدرة الإبداعية والاستعلاء الخارق، أضف إلى ذلك تساؤل ابن حزم: "كيف أوتي الحكم صبيا"(١) وفيه دلالة على أن تفرد ابن شهيد ليس أمرا طارئا أو تميزا عارضا وإنما هو ملازم له منذ صباه.

وفي الفصل الرابع من فصول الرسالة تجبهنا مزاعم ابن شهيد بأن شهرته طبقت الآفاق واخترقت الحجب، ولنستمع إليه حين يقول مصورا شهرته المدوية في عالم الجن "فلما بصرت بنا أجفلت إلينا وهي تقول: جاءكم على رجليه! فارتعتُ لذلك، فتبسَّم زهيرٌ وقد عرف القصد، وقال لي: تهيأ للحكم"(٢) فنقاد الجن كثيرا ما يلتجئون إليه . لثقتهم في مقدرته الفنية. حين تختلط عليهم دروب النقد وطرائق الإبداع.

وثمة أمر لا يمكن تجاهله في هذا السياق وهو أن جولة ابن شهيد ورحلته الخيالية قد أثمرت ألوانا من التفوق على سائر الشعراء والكتّاب والخطباء سواء في ذلك الجاهليون والعباسيون والمشارقة والمغاربة، وتلك مسألة لا تخلو من الفخر والاستعلاء.

ويتصل بإعجاب ابن شهيد بنفسه وفخره بملكاته ما يلحظه القاري من سيطرة نبرة السخرية والتهكم حيث لم تقتصر على الخصوم والحسّاد فحسب وإنما امتدت لتشمل علماء اللغة وشيوخ البيان، وأظهر الشخصيات التي

(١)رسالة التوابع والزوابع ٨٨

(٢) رسالة التوابع والزوابع ١٤٧

نالتها سخرية ابن شهيد غريمه أبو القاسم الإفليلي، فقد اختار الكاتب لتابعه اسم (أنف الناقة) وصوره في صورة كاريكاتورية مضحكة حيث قال: "يا أنفَ النّاقة بن معمر، مِن سُكانِ خيبر! فقام إليهما جنيٌّ أشمط ربعةٌ وارمُ الأنف، يتظالعُ في مشيته، كاسراً لطرفِه، وزاوياً لأنفه.. "(١).

فهذه الصورة الساخرة تظهرنا على البواعث النفسية للكاتب الذي اتخذ من حنقه على خصمه منطلقا للإزراء به والسخرية اللاذعة من هيئته، فوصمه بأنه عجوز أشمط قد غلب البياض على سواد شعره، كما أنه يغمز في مشيته فصار أشبه بدابة أصابها داء الظلاع وهو العرج والتعثر أثناء السير، ثم هو وارم الأنف منكسر الطرف بسبب ما يعلوه من الذلة والصغار "وما تركيز ابن شهيد في هذه الصفة على الأنف إلا لكي يزيد في الحطّ من قيمته؛ لأن العربي قد عرف منذ القدم بشموخ أنفه واعتزازه بنفسه لهذا فقد اختار له أنفا يليق به ويتمثل في أنف الناقة الذي يوجد به اعوجاج وانحناء تماما كالانحناء الذي يرغب في الوصول إليه من هذه الشخصية المتعنتة والمتكبرة، أو قد يكون اختياره للأنف لأن الإفليلي كان يعاني من اعوجاج في أنفه، لهذا فقد آثر ابن شهيد أن يسخر من شكله ويتباهى بنفسه أمامه"(٢).

ويحتدم الجدل بين ابن شهيد وتابعه الإفليلي وتمتد السخرية لتطال علماء اللغة وأساطين البيان، فعندما طلب أنفه الناقة من ابن شهيد أن يطارحه كتاب الخليل كانت إجابته: "هو عندي في زنبيل، وحين دعاه لمناظرته في كتاب سيبويه قال: خريت الهرة عندي عليه وعلى شرح ابن

(١) السابق ١٢٤

٢) رسالة التوابع والزوابع دراسة سيميائية١١٨

درستويه"(١) فابن شهيد هنا يتجاوز حدّ العجب والسخرية إلى التطاول البغيض وتصوير أسفار العربية الباذخة في صورة هي الغاية في الهوان وضعة الشأن.

ولقد أكد ابن شهيد سلوكه الشائن حين لقى بعض حيوان الجن واختار منها الإوزة الأديبة وعندما سأل تابعه زهير بن نمير عن شأنها قال: "هي تابعةُ شيخٍ من مشيختكم، تسمى العاقلة، وتُكنى أمَّ خفيف"(٢).

فاختيار الإوزة لتكون رمزا لشيوخ البيان وأساطين اللغة، واختيار هذا الاسم وتلك الكنية بما فيها من التعريض بالعلماء يؤكد بما لا يدع مجالا للشك جناية ابن شهيد على اللغويين وإساءته للعلماء، وتبرز ما تتصف به تلك الشخصية من الإعجاب بالنفس والفخر بالملكات، وهذا ما تتجلى آثاره في رسالته على امتداد صفحاتها وتنوع شخوصها وأحداثها.

ثانيا: العتبات الرؤية والتأصيل

مفهوم العتبات: العتبة في لسان العرب هي أسكفّة الباب التي توطأ، وقيل العتبة العليا، والجمع عتب وعتبات(٣) وعتبات النصوص هي "مجموعة من النوافذ والتنبيهات والخادمات والإضاءات والمقدمات التي تؤدي إلى نتائج حتمية نتيجة التلاقح بينها وبين النص"(٤)

---

(١) رسالة التوابع والزوابع ١٢٤

(٢) شعرية النص الموازي ١٧٦ بتصرف

(٣) لسان العرب مادة (عتب)

(٤)عتبات النص في الرواية العربية، د. عزوز على إسماعيل الهيئة المصرية العامة ٢٠١٢، ٢٣

ودراسة العتبات تظهرنا على كثير من المقاصد الفنية للكتّاب والمبدعين؛ نظرا للترابط الشديد والالتحام التام بين هذه العتبات وبين المتن الروائي والمضمون القصصي، أضف إلى ذلك أن العتبات تعد من وسائل التواصل بين المبدع والمتلقي منذ الأعصر القديمة حتى عصرنا الحاضر.

وقد حظيت العتبات قديما باهتمام النقاد والأدباء وإن لم يضعوا لها هذا المصطلح الفني، ولست أبالغ حين أزعم أن العرب القدماء هم أول من وضع الأساس لدراسة عتبات النصوص شعرا ونثرا، وحسبي إيراد عدد من الإشارات، ومن أظهرها ما ذكره ابن أبي الأصبع في كتابه تحرير التحبير حيث قسّمه إلى أبواب تتناول عددا من العتبات، مثل: باب حسن الابتداءات، باب الكتابة، باب الإشارة، باب التذييل، باب حسن النسق، باب رد الأعجاز على الصدور، باب الإمضاء، باب حسن الخاتمة(١)، كما اشتمل أدب الكتّاب على التصدير والخط، وما قيل في القلم والخطأ في الكتاب والنحو في الكتاب، وعرض الكتاب، واللحن في الكتاب، والعنوان، والتقديم، والتختيم، وتحرير الكتاب(٢).

وليس أدل على اهتمام القدماء بالعتبات من قول المقريزي: "اعلم أن عادة القدماء من المعلمين قد جرت أن يأتوا بالرؤوس الثمانية قبل افتتاح كل

(١)تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ت: د. حفني محمد شرف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية د ت

(٢) أدب الكتاب لأبي بكر الصولي ت: أحمد حسن بسبح الطبعة السلفية ١٣٤١ ، ٣١

كتاب وهي: الغرض، العنوان، المنفعة، المرتبة، صحة الكتاب، ومن أي صناعة هو، وكم فيه من أجزاء، وأي أنحاء التعاليم المستعملة فيه"(١).

هذا كله وغيره كثير يدل على اهتمام القدماء بالعتبات لما لها من دور في إضاءة النص وكشف أبعاده وتحديد معالمه وتهيئة القارئ للقراءة الواعية والتلقي الإيجابي ليس للنصوص الأدبية فحسب بل سائر النصوص وشتى المعارف.

فإذا انتقلنا إلى العصر الحديث وجدنا أن دراسة العتبات حققت رواجا كبيرا منذ ألف جيرار جينيت كتابيه: (عتبات) و(أطراس)، وفيهما يضع الأساس المنهجي والضوابط العلمية لدراسة العتبات، ولقد آتت جهوده ثمارها وأنتجت عددا هائلا من البحوث التي استطاعت من خلال هذا المنطلق الفني أن تردم الفجوة التي باعدت بين المرسل والمتلقي وحفزت الباحثين لتحقيق مزيد من الأهداف والغايات.

ولعل السر في نجاح تلك البحوث وتزايد الدراسات أنها كشفت عن الصلة الوثيقة بين العتبات ومضمون النص، كما أنها تظهر القارئين على مغزى النصوص بأدنى جهد وأيسر طريق؛ لأن "عتبات النصوص ليست اعتباطية أو بنيات مجردة، بل إنها تربط المتن الحكائي بالفضاء النصي الكبير، حيث تساعدنا على فهم خصوصية النص وتحديد مقاصده الدلالية وتؤدي دورا ذا أهمية في عملية التواصل بين المرسل والمتلقي"(٢). فالعتبات أشبه بالمفاتيح التي تساعد القارئ على فهم النصوص واستكناه

(١)المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية ١٤١٨، ١، ٩

(٢) عتبات النص في الرواية العربية د. عزوز إسماعيل ٣١

أسرارها، ولا أبالغ إذا قلت إن الولوج إلى عالم النص مشروط بفهم عتباته "فكما لا نلج الدار قبل المرور بعتباتها فكذلك لا يمكننا الدخول إلى عالم المتن قبل المرور بعتباته"(١).

وليس أدل على أهمية العتبات من أن عددا من الباحثين والنقاد عبروا عنها بالنص الموازي "وهو عبارة عن عتبات مباشرة عن النص، إذ تفسره وتضيء جوانبه الغامضة وتبعد التباساته وما أشكل على القارئ، وتشكل العناصر الموازية في الحقيقة نصوصا مستقلة، فالخطاب المقدماتي ما هو في الحقيقة إلا نص مستقل بذاته له بنيته الخاصة، ودلالات متعددة ووظائف"(٢) فالعتبات ليست مجرد حلية شكلية أو زينة لفظية أو إغراءات تجارية وإنما هي نصوص تعدل المتن وتوازي المضمون وتلك أهم دواعي دراستها والإقبال عليها والاحتفاء بها.

(١) العتبات النصية في روايات محمد حسين علوان، منى خلف العنيزي م الانتشار العربي ١٤٤٢، ٩٢

(٢) ينظر: شعرية النص الموازي (عتبات النص الأدبي) جميل حمداوي دار الريف المغرب ط الثانية ٢٠٢٠، ١٢ وينظر أيضا: النص والنص الموازي للدكتور حسن حجاب الحازمي كرسي الأدب السعودي ٢٠١٨،٢

المبحث الأول: العنوان

تدل مادة (عنن) في لسان العرب على الأثر والاستدلال، يقال عنّ الكتاب يعنُّه عنًّا وعنَّنه، وقال ابن بري: والعنوان: الأثر، قال سوار بن المضرب:

وحاجة دون أخرى قد سنحت بها جعلتها للتي أخفيت عنوانا"(١)

والعنوان في الاصطلاح: "مقطع لغوي يدل عبر وظائفه الشكلية والجمالية والدلالية على النصوص والأعمال التي يقدمها "(٢)وبتعبير آخر: "أيقونة بصرية تأثيرية تفضي إلى النص كما أن النص يفضي إليه"(٣) وقد عرّفه جينيت بأنه "عبارة عن كتلة مطبوعة على صفحة العنوان الحاملة لمصاحبات أخرى مثل اسم الكاتب أو دار النشر..."(٤).

وللعنوان أهمية كبرى فهو مفتاح العمل الأدبي وأهم أبوابه وأظهر مداخله وعتباته، وهو أيضا "رأس النص والرأس يحتوي الوجه وفي الوجه أهم

(١) لسان العرب مادة عنن

(٢) العتبات النصية في رواية أنثى السراب لواسيني الأعرج ابتسام جيلالي جامعة الجيلاني ٢٠١٦، ٢١

(٣) عتبات النص في الرواية العربية د. عزوز إسماعيل ٧٩

(٤) عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص عبد الحق بلعابد الدار العربية ط: الأولى، ٢٠٠٨، ٦٧

الملامح، ولذلك فإن البحث في العنوان هو البحث في صميم النص، كما أن النص مرتبط به ارتباطًا عضويًا، ونص بلا عنوان رأس بلا جسد"(١).

هذا وللعنوان وظائف كثيرة ذكرها النقاد منها الوظيفة التعيينية والوظيفة الإيحائية والوظيفة الإغرائية...إلخ(٢) وقد فطن المبدع العربي إلى أهمية العنوان وأكد على حتمية الانسجام والتلاحم بينه وبين المتن فضلا عن مراعاة مقتضى الحال، وهذا ما يتجلى في أبهى صوره في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي.

أولا: العنوان الرئيس

ويتكون من اسمين معرّفين بينهما حرف عطف هو الواو، أما الاسم الأول (التوابع)، فهو جمع تابعة وتدل على القرين من الجن، وأما الاسم الثاني (الزوابع) فهو جمع زوبعة وهي الإعصار، وفي تاج العروس أن الزوبعة اسم شيطان أو رئيس الجن، ومنه سمي الإعصار زوبعة (٣)

والعنوان بصياغته وتركيبه يدل على لون من التميز والتفرد وهو الهدف الأثير والغرض الأساس من إنشاء الرسالة "وقد جاءت لفظتا التوابع والزوابع على صيغة جمع التكسير الذي خرج عن قاعدتي جمعي المذكر والمؤنث السالم ليتفرد لنفسه بقاعدة سماعية أكثر منها قياسية، وقد يكون

(١) العتبات النصية ٣٤

(٢) ينظر: عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص٧٣

(٣) ينظر: تاج العروس للزبيدي مادة زبع

هذا التفرد والتميز هو الذي ينشده الراوي لكي يكسر بعض القواعد القياسية السائدة في عصره"(١).

والكلمتان تدلاّن على القوة المفرطة وكأن ابن شهيد يهدف إلى زلزلة القيم الأدبية والنقدية الراسخة فجعل من رسالته إعصارا جارفا لكل إبداع سبقه سواء أكان شعرا أم نثرا، وقد راقه هذا التخيّر النادر لعنوان أسطوري للتأكيد على أن هذه الرسالة ليست إبداعا بشريا أو نثرا عاديا وإنما هي تجليات عبقرية وإلهام غيبي وتلك مقدرة لا تتأتى للكثيرين.

وقد استلهم ابن شهيد عنوان الرسالة من محاورته لصديقه أبي بكر ابن حزم حيث يقول على لسانه: "فقلت: كيف أوتي الحُكم صبياً، وهزّ بجدعِ نخلة الكلام فاسّاقط عليه رُطباً؛ أما إن به شيطاناً يهديه، وشيصباناً يأتيه وأقسم أنَّ له تابعة تُنجدُه، وزابعة تؤيدّه، ليس هذا في قدرة الإنس، ولا هذا النفَس لهذه النفس"(٢).

والمتتبع للنص السابق يلحظ الارتباط بالتراث والامتياح من ينابيعه والنّهل من معينه الثرّ وعطائه المتدفق، أعني ما يحفل به الشعر الجاهلي والإسلامي من إشارات إلى شياطين الشعر الذين يلهمون الشعراء أعذب الأشعار وأجمل القصائد وهذا ما يتجلى في شعر الأعشى وعبيد بن الأبرص وحسان بن ثابت والفرزدق وغيرهم كثير (٣) وشعر هؤلاء جميعا

(١) رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، دراسة سيمائية، سليمة عقوني ٧٧

(٢) رسالة التوابع والزوابع لابن شُهيد ت بطرس البستاني دار بيروت لبنان، الطبعة: الثانية ١٩٩٦،٨٨

(٣) ينظر: شياطين الشعراء د. عبد الرازق حميده مكتبة الأنجلو ١٩٦٥، ٩٥

يعجّ بأسماء شياطين الشعر لدرجة رسخت في الأذهان وجود ملهمين للشعراء من عالم الجن بل لقد جعلوهم أمما وقبائل "وقد عرفنا من قبائلهم بني الشيصبان الذين كان لحسان صاحب منهم :

ولي صاحب من بني الشيصبان فطورا أقول وطورا هوه"(١).

كما كانت لهم أماكن ومساكن في بلاد العرب أظهرها وادي عبقر وهو موضع بالبادية كثير الجن، ويقال في المثل كأنهم جنّ عبقر، وقال الزمخشري: العبقري منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب"(٢).

واستكمالا للحديث عن عنوان الرسالة يستوقفنا ما فيه من السجع المحبب والجرس الموسيقي العذب والصبغ البديعي المتأنق، وقد أسهم السجع في ترسيخ الفكرة وتأكيد المعنى وجذب الانتباه وقوة التأثير والدلالة على النبوغ والعبقرية، وبخاصة أن ابن شهيد قد التزم في العنوان مالا يلزم فلم يقنع باتفاق الكلمتين في الحرف الأخير وهو العين وإنما تتفق الكلمتان (والتوابع والزوابع) في الحروف الأربعة (الواو والألف والباء والعين) إمعانا في المنافسة والتحدي وتأكيدا للتفرد والنبوغ ورغبة في إثبات التفوق على الخصوم من الأدباء والشعراء والنقاد.

أما صلة العنوان بالمتن الحكائي فتتجلى في مظاهر كثيرة منها: تكوّن العنوان من مبتدأين دون خبر للدلالة على أن الخبر هو النص كله بأحداثه المتنوعة وشخصياته المتعددة، وفضاءاته الزمكانية، وكأن القصة

(١) السابق ٥٥

(٢) السابق ٥٦

المتطاولة لا تعدو أن تكون خبرا لهذين المبتدأين مما يحقق الانسجام والترابط بين أجزاء القصة وعناصرها، ويؤكد في الوقت نفسه حتمية العلاقة بين المتن والعنوان، هذا فضلا عما يكتنف الفضاء القصصي من شخصيات خيالية وأحداث عجائبية، وكلها تستدعي عنوانا يعبر عن جموح الإعصار وتمرد الجن وثورة الشاعر بحيث يمكن القول إن هذه القصة لا تفضي بأسرارها إلا من خلال هذا العنوان وإن هذا العنوان لا يناسب غير هذه القصة، وتلك أمارة النبوغ ودلالة الاقتدار والخلق الفني، أضف إلى ذلك أن العنوان بمنزلة الرأس من الجسد، ومن ثم تعد الرسالة التي بين أيدينا من النماذج الأدبية النادرة التي تتحقق فيها الوحدة العضوية التي يتطلع إليها النقاد والمبدعون منذ الأعصر القديمة حتى عصرنا الحاضر.

ثانيا: العناوين الفرعية:

إذا كان العنوان الرئيس هو مفتاح العمل الأدبي وأهم أبوابه وأظهر عتباته؛ فإن العناوين الفرعية لا تقل عنه في الأهمية من حيث الغايات والأهداف، "فإذا كان العنوان الرئيس يكثف النص المركزي ويكون بؤرته ونواته فإن العناوين الداخلية تكون مكثفة لفصولها ومشكلة لبؤرتها مع ارتباطها بالعنوان الرئيس ودورها في إضاءته وإغناء دلالته"([1])

ولا تخلو رسالة التوابع والزوابع من العناوين الفرعية والعناوين فرعية الفرعية التي تسلط الأضواء على توابع الشعراء والنقاد من جهة وعلى الأسماء والبيئات من جهة أخرى، نظرا للتعالق بين الاسم والمسمى وبخاصة أن أسماء الشخصيات تترك آثارها على مسمياتها في كثير من الأحيان،

---

١) النص والنص الموازي د. حسن حجاب الحازمي ٦٤

كما تترك البيئة أثرها في الإنسان ويؤثر الإنسان في البيئة "ولقد اختلف النقاد حول غرض الأسماء التي أطلقها الرواة على الشخصيات ولكنهم ابتعدوا عن منطقة العشوائية وأنها بلا أهمية فلكل شخصية اسمها ومسمّاها الذي يرتبط بالمدروس ضمنا ومعنى"(١).

ولقد حرص كثير من الكتّاب الروائيين على اختيار الأسماء الدالة على طبيعة الشخصيات وسماتها النفسية والاجتماعية، ومن هؤلاء نجيب محفوظ "فلقد تميز أديبنا الخالد عن كل الأدباء ببراعته في اختيار أسماء أبطاله فلم تأت الأسماء اعتباطية أو كما اتفق، فالقارئ المدقق لا يخفى عليه الربط الواضح بين أسماء معظم شخصياته ـ ولا أقول كلها ـ وبين بيئاتها وسلوكها أو طباعها أو مكامنها النفسية والخلقية سواء طرديا أو عكسيا"(٢).

ولئن أردنا مثالا يوضح ما سبق فلنتأمل اسم (أحمد عاكف) بطل رواية (خان الخليلي) سنجد أنه "يجسد حالة البطل السيء بجدارة، فهو كاره لرتابة حياته، ناقم على حظه العاثر، حاقد على كل المتفوقين والموسرين، ثقته في نفسه معدومة ويدور في ذهنه حوار داخلي عميق"(٣) ولعل هذا هو السر في اختيار محفوظ لهذا الاسم (عاكف) لما يحمله من دلالة على

(١) دلالة أسماء الشخصيات في الرواية الأردنية، دراسة سيمائية في نماذج مختارة د. عماد الخطيب مجلة جامعة القدس المفتوحة ٢٥ أيلول ٢٠١١، ١٢٩

(٢) نجيب محفوظ واختيار أسماء أبطال رواياته مقال للكاتب صبري زمزم الأهرام ٢٠٠٧/٧/٢

(٣) قراءة في رواية خان الخليلي د/ إسحاق البنداري جريدة الفكر الحر الإلكترونية ٢٠١٩/١٢/٢

الانعزال والانطوائية، ومن هذا المنطلق يمكن أن نفسر اختيار محفوظ اسم (أحمد راشد)، الذي يدل من خلال سير الأحداث على الرشد ورجاحة العقل.

وهنا يمكن القول بأن ابن شهيد قد نجح في الخلق الفني لعدد من الشخصيات القصصية على نحو لم يتحقق إلا عند كبار الكتّاب الروائيين في العصر الحديث، وليس هذا فحسب وإنما اختار لشخصياته من الأسماء والألقاب والفضاء المكاني ما يسهم في إضاءة النص وتسليط الضوء على الأحداث وتلبية الحاجات النفسية وتحقيق الغايات الفنية.

وفيما يلي عرض لأظهر العناوين الفرعية وما يندرج تحتها من عناوين فرعية الفرعية وأصدائها في سبر أغوار الرسالة والكشف عن مضمونها ومغزاها:

الفصل الأول: توابع الشعراء

وابتداء الكاتب بتوابع الشعراء يدل على حفاوته بالشعر وقد عبر عن ذلك حين سأله تابعه "بمن تريد أن نبدأ؟ قلت: الخطباء أولى بالتقديم لكنني إلى الشعراء أشوق"(١) والسر في ذلك أن جلّ ما وجّه لابن شهيد من النقد قصد به النيل من شاعريته والإزراء بموهبته، بالإضافة إلى أن عطاءه الشعري يجاوز بكثير ما أنتجته قريحته من الفنون النثرية، ولعل مما يؤكد ذلك أن لقاءاته بالشعراء قد استحوذت على الأعم الأغلب من صفحات الرسالة وفصولها، ولا غرابة فقد شهدت تلك الصفحات لقاء ابن شهيد بعدد كبير من الشعراء الجاهليين والعباسيين، بل لقد رأيناه في بعض الأحيان يستكثر من النماذج ويستزيد من الإنشاد ويطيل أمد اللقاء لاسيما بأبي نواس الذي صادف مسلكه العابث هوى في نفس ابن شهيد وميلا إلى تلك الأجواء المرحة والحيوات الصاخبة، وفيما يلي عرض للقاءات ابن شهيد بتوابع الشعراء والعناوين المختارة ودورها في إضاءة النص بشيء من التفصيل، مع ملاحظة أن الكاتب عمد إلى إطلاق عنوان (شيطان) على توابع الشعراء الجاهليين، بينما اختار عنوان (صاحب) لتوابع الشعراء العباسيين ولعل السر في ذلك أن أسطورة شياطين الشعر ترتبط في الأذهان بالجاهليين دون غيرهم:

شيطان امرئ القيس:

وتبدأ رحلة ابن شهيد في عالم الجن بلقاء عتيبة بن نوفل صاحب امرئ القيس، وعتيبة مشتق من العتبة وهي مقدمة البيت ومدخله، ولعل في هذا

---

١) رسالة التوابع والزوابع ٩١

ما يشير إلى ريادة امرئ القيس وإمارته للشعر، وكأن عالم الجن لا يسطيع أحد ولوجه حتى يأذن له مهلهل الشعر وملك الشعراء.

أما نوفل "ويعني الشاب الحسن الوجه والرجل المعطاء، وهذا هو السر في أن العرب كانت تسمي به أسيادها "(١) والاسمان كلاهما (عتيبة) و(نوفل) يدلان على معاني السبق والتفرد التي خلعها التاريخ الأدبي على امرئ القيس بن حجر منذ فجر الشعر، وأما المكان الذي يقطنه تابع امرئ القيس فإنه يعيد إلى الأذهان أجواء اللهو والصخب التي أنفق فيها امرؤ القيس جلّ عمره المتقاصر "فأمال العنان إلى وادٍ ذي دوحٍ تتكسّر أشجاره وتترنّم أطياره، فصاح يا عتيبة بن نوفل: بسقط اللوى فحومل ويوم دارة جلجل..." ولقد عمد ابن شهيد أن يكون اللقاء بتابع امريء القيس في أماكن اللهو والعبث التي كانت تعج بها حياة الشاعر لاسيما يوم دارة جلجل، ولعل السر في ذلك هو أن ابن شهيد يروقه هذا المسلك اللاهي.

شيطان طرفة:

أما تابع طرفة بن العبد فهو عنتر بن العجلان، وعنتر كما هو معروف رمز الشجاعة والفروسية، وأما عجلان فتدل على السرعة والعجلة "وعجل الشخص: أسرع وفعل الشيء قبل أوانه"(٢) والارتباط واضح بين طرفة وتابعه سواء في ذلك دلالة الاسم والصفة، يؤكد ذلك أن ابن شهيد قد حشد له عددا من الصفات التي تدل على بهاء الوجه وحسن المنظر فضلا عن البطولة والشجاعة، لكنها شجاعة تبلغ حدّ التهور والعجلة حتى لكأنه

(١) ينظر: القاموس المحيط مادة نفل

(٢) لسان العرب مادة عجل

يستعجل الموت ويسرع نحو الهلاك "فبدا إلينا راكبٌ جميلُ الوجه، قد توشح السّيف، واشتمل عليه كساء خزّ، وبيده خطّيّ"(١).

كما حرص ابن شهيد على وصف المكان الذي احتضن الشاعر الشاب ـ وبتعبير أدق ـ تابعه عنتر بن العجلان "جزعنا وادي عُتيبة، وركضنا حتى انتهينا إلى غيضةٍ شجرُها شجران: سامٌ يفوحُ بهاراً، وشحرٌ يعبق هندياً وغاراً، فرأينا عيناً معينةً تسيل، ويدُورُ ماؤها فلكياً ولا يحُول"(٢) والأسطر السابقة تصور مشهدا من مشاهد البيئة البدوية التي كان لها أعمق الأثر في حياة طرفة بن العبد وشعره كما هو الحال في تأثير البيئة الأندلسية في حياة ابن شهيد وطبعت كتاباته بهذا الطابع الرقيق.

شيطان قيس بن الخطيم:

ثم يواصل ابن شهيد وتابعه زهير بن نمير المسير في وادي الجن وبينا هما يسيران صوب أبي تمام إذا بفارس يجدّ في طلبهما وهو أبو الخطّار تابع قيس بن الخطيم "ويشتد في أثرنا فارس كأنه الأسد، على فرس كأنها العُقاب، وهو في عدوه ذلك يُنشد:

طعنتُ ابن عبد القيس طعنة لها نفذٌ، لولا الشعاعُ، أضاءها

فاستربتُ منه فقال لي زهير: لا عليك هذا أبو الخطّارِ صاحبُ قيسِ ابن الخطيم"(٣).

---

(١) رسالة التوابع والزوابع ٩٣

(٢) السابق ٩٣

(٣) رسالة التوابع والزوابع ٩٦

واسم الخطّار يحمل كثيرا من صور القوة، فالخطّار هو الرمح، والخطّار الطعّان بالرمح، وخطر الأمر كان مؤديا إلى الهلاك والتلف، وخطر الرجل صار رفيع المقام عظيم القدر"(١).

وابن شهيد باصطفائه لهذا البيت من شعر قيس بن الخطيم يؤكد الاحتفاء بعنصر القوة والرغبة في الثأر والانتقام، مما يغذي رغبة الكاتب في الثأر من الخصوم والانتقام من الحسّاد، وبخاصة أن ابن شهيد يبدو حفيّا بجرأة قيس بن الخطيم برغم ما أظهره من صور العدوان "فاستبى لُبيّ من إنشاده البيت، وازددتُ خوفاً لُجرأته، وأنّنا لم نُعرَّج عليه، فصرف إليه زهيرٌ وجه الأدهم، وقال: حيّاك اللهُ أبا الخطّار! فقال: أهكذا يُحادُ عن أبي الخطار، ولا يُخطرُ عليه؟ قال: علمناك صاحب قنص وخفنا أن نشغلك، فقال لي: أنشدنا يا أشجعي، وأُقسم أنك إن لم تُجد ليكوننَّ يوم شر"(٢).

صاحب أبي تمام:

وباستدعاء ابن شهيد لتابع أبي تمام تتأكد رغبته في إثبات شاعريته وإظهار نبوغه، أما الاسم فهو (عتّاب بن حبناء) وهو صيغة مبالغة من العتاب، وقد فسره البعض بأن أبا تمام كثر لومه وعتابه من قبل النقاد بسبب ما يكتنف شعره من غموض والتواء(٣)، وأرى أن الهدف من اختيار الاسم هو حرص ابن شهيد على التمسك بالصياغة العربية للأسماء والألقاب، فضلا عن حفاوته بأساطين الشعر وملوك البيان العربي.

---

(١) لسان العرب مادة خطر

(٢) رسالة التوابع والزوابع ٩٦

(٣) ينظر: البنية القصصية في رسالة التوابع والزوابع ١٩٢

أما البيئة التي اختارها الكاتب لتابع أبي تمام فهي بيئة مائية تختلف كثيرا عن مختلف الأماكن وسائر البيئات "انتهينا إلى شجرةٍ غيناء يتفجرُ من أصلِها عينٌ كمقلةٍ حَوراء، فصاح زُهير: يا عتّابُ بن حبناء حلَّ بك زُهير وصاحبهُ، فبعمروٍ والقمر الطالِع، وبالرُّقعةِ المفكوكةِ الطّابع، إلاَّ ما أريتنا وجهك! فانفلق ماء العين عن وجهِ فتىً كفلقةِ القمر، ثم اشتقَّ الهواء صاعداً إلينا من قعرها حتى استوى معنا فقال: حيّاك الله يا زهير، وحيّا صاحبك! فقلتُ: وما الذي أسكنك قعر هذه العين يا عتّاب؟ قال: حيائي من التّحسُّنِ باسمِ الشِّعرِ وأنا لا أُحسنُه، فصحتُ: ويلي منه؛ كلامُ مُحدثٍ ورب الكعبة"(١).

وأرى أن السر في اختيار الماء قرارا لتابع أبي تمام هو الحياء ونكران الذات برغم الشاعرية النادرة والموهبة الفذة، أضف إلى ذلك ما عرف عن أبي تمام من عمق الفكر والغوص وراء المعاني، وهذا ما أكدته إحدى الباحثات بقولها "وجعل مقرّه في قعر عين لأنه عرف عن ابن تمام أنه يستخرج الكنوز من أعماق الفكر"(٢).

صاحب البحتري:

ثم التقى ابن شهيد بأبي الطبع تابع البحتري الذي اعترف أنه من أساتذته وأنه تتلمذ على أشعاره الرقيقة، وهذا ما دفعه إلى تسميته بأبي الطبع وجعل مسكنه أشبه بالقصور الفارسية التي برع البحتري في تصويرها في شعره، يقول ابن شهيد "فركضنا ساعةً وجُزنا في ركضِنا بقصرٍ عظيمٍ قُدَّامه

(١) رسالة التوابع والزوابع ٩٨

(٢) البنية القصصية ١٩٣

ناوردٌ يتطاردُ فيه فُرسان، فقُلتُ: لمَن هذا القصرُ يا زُهير؟ قال: لطوقِ بن مالك؛ وأبُو الطَّبعِ صاحبُ البُحتُريّ في ذلك النَّاورد فهل لكَ في أن تراه؟ قلتُ: ألفُ أجلْ، إنه لمن أساتيذي، وقد كُنتُ أُنسِيتُه، فصاح: يا أبا الطَّبعِ! فخرج فتىً على فرسٍ أشعل، وبيده قناة، فقال له زُهير: إنك مؤتمُنا؛ فقال: لا، صاحُبك أشمخُ مارِناً من ذلك، لولا أنه ينقصُه، قلتُ: أبا الطَّبعِ على رِسلِك، إنَّ الرّجالَ لا تُكالُ بالقُفزان أنشدنا من شعرك..."(١).

وقد أجاد ابن شهيد تخير البحتري للدلالة على رسوخ قدمه في ميدان الشعر المطبوع فضلا عن تخيره لاسم أبي الطبع برغم ندرته، بيد أنه لم يكن موفقا في تصويره في صورة بطل يمتطي فرسا أبيض وبيده قناة، وهي رؤية مسرفة للبحتري الذي عرف بالجبن وهذا ما يتضح في أشعاره المتكاثرة لاسيما قصيدته التي يصف فيها صراعه مع الذئب وهو وصف لا يعدو أن يكون معادلا موضوعيا لما يعتمل في نفسه الواهنة من الضعف والخور.

صاحب أبي نواس:

وحين ندلف إلى دير حنّة حيث يقيم (حسين الدنان) تابع أبي نواس نراه محاطا بأجواء تعبق بروائح الخمر وتتردد فيها أصوات الرهبان وترانيم النصارى، ويحسن أن نتوقف مع هذا الاسم الذي اشتق من الحسن والجمال اللذين اشتهر بهما أبو نواس، وأما الدنان فهو جمع دن وهو اسم يطلق على الإناء الذي توضع فيه الخمر، ومعروف أن خمريات أبي نواس تشكل تيارا كبيرا في شعره، ومن ثم يمكن التسليم بوجود آصرة تربط بين الاسم

(١) رسالة التوابع والزوابع ١٠٢

والشخصية، وأهم من ذلك أنها تضيء جانبا مهما من جوانب شخصية الكاتب من جهة وجوانب رسالته من جهة أخرى.

فإذا انتقلنا إلى بيئة الشاعر فإننا نجد ابن شهيد يطيل الوقوف عند الدير القابع في أصل الجبل ليسرد علينا كثيرا من دقائقه وتفاصيله "وسِرنا حتى انتهينا إلى أصل جَبل دير حَنّة، فشقّ سَمعي قرْع النواقيس، فصِحْتُ: من منازل أبي نواس، وربِّ الكعبة العَلياء! وسِرنا نجتاب أدياراً وكنائس وحانات حتى انتهينا إلى ديرٍ عظيمٍ تَعبق روائحه، وتَصوكُ نوافِحه، فوقف زهير ببابه وصاح: سلامٌ على أهل دير حَنّة! فقلتُ لزهير: أوَهل صِرنا بذات الأُكَيراح؟ قال: نعم"(١).

وإذا تأملنا الوصف المتأني لهذه التفاصيل الدقيقة فإننا نلحظ استعذاب ابن شهيد لهذا الدير بما يتراءى فيه من الغلمان التي تشبه الظباء وما يتساقاه الندمان من كؤوس الخمر وآنية الشراب، وها هو ذا يستهل الوصف بالإشارة إلى أن هذا الدير يقع بأصل جبل، ولفظ الجبل يدل على الفطرة التي جبل عليها الإنسان، للدلالة على أنه جبل على حب اللهو والعكوف على الشراب، وأهم من ذلك أن الكاتب صوّر بيئة أبي نواس وتابعه تصويرا مرتبطا به لا ينفك عنه، كما صور أبا نواس في حال سكره وصحوه وغضبه وفيئه، وليس هذا فحسب وإنما أطال المكث عنده على نحو يجاوز مكثه لدى سائر الشعراء؛ فلا يحلو الإنشاد إلا في حضرته ولا الإصغاء إلا لشعره، وكثيرا ما يعبر أبو نواس عن إعجابه بشعر كاتبنا وتضاؤل شعره تجاه ما يسمع من شعر ابن شهيد في الأغراض المختلفة،

(١) رسالة التوابع والزوابع١٠٤.

وليس أدل على ذلك من قوله في ختام اللقاء "فلما سمع هذا البيت قام يرقُص به ويردّده، ثم أفاق ثم قال: هذا والله شيء لن نُلهمه نحن، ثم استدناني فدنوتُ منه فقبّل بين عينيَّ وقال: اذهب فإنك مُجاز، فانصرفنا عنه وانحدرنا من الجبل"(١).

صاحب أبي الطيب:

أما تابع أبي الطيب المتنبي فهو حارثة بن المغلس، وحارثة من كنى الأسد والمغلس الذي يسري ليلا، والاسم مستوحى من شعر المتنبي الذي أنفق شعره في الإعجاب بنفسه والفخر بملكاته والتغني بشجاعته واقتداره على مجابهة الخيل تارة وتحدي الليل تارة أخرى.

ولقد جمع ابن شهيد لتابعه عددا من السمات النفسية "فقال لي زهير: ومنْ تريد بعد؟ قلت له: خاتمة القوم صاحب أبي الطيّب؛ فقال: اشدُد له حَيازيمك، وعطّر له نسيمك، وانثُر عليه نجومك، وأمال عنان الأدهم إلى طريقٍ، فجعل يركض بنا، وزهيرٌ يتأمّل آثار فرسٍ لمحناها هناك؟ فقلت له: ما تتبَّعك لهذه الآثار؟ قال: هي آثار فرس حارثة بن المغلَّس صاحب أبي الطيب، وهو صاحب قَنص، فلم يزل يتقرّاها حتى دفعنا إلى فارسٍ على فرسٍ بيضاء كأنه قضيبٌ على كثيب، وبيده قناةٌ قد أسندها إلى عنقه، وعلى رأسه عمامةٌ حمراء قد أرخى لها عَذَبَةً صفراء، فحيّاه زهير، فأحسن الردّ ناظراً من مقلةٍ شَوساء، قد مُلئت تيهاً وعُجباً، فعرّفه زهيرٌ قصدي، وألقى

(١) رسالة التوابع والزوابع ١١١

إليه رغبتي، فقال: بلغني أنه يتناول؛ قلت: للضرورة الدافعة، وإلا فالقريحة غير صادعة، والشفْرة غير قاطعة، قال: فأنشدني..."(١).

وفي هذا الوصف لحارثة وبيئته تتجلى صفات المتنبي وتابعه الذي أحاطه الكاتب بهالات من التفخيم والتعظيم، يدل على ذلك قوله: اشدُد له حَيازيمك، وعطّر له نسيمك، وانثُر عليه نجومك، مما يوحي بأن ملاقاة المتنبي تحتاج للتهيؤ والاستعداد، وكذا تصوير ابن شهيد لتابع المتنبي وهو منشغل بالقنص ممتطيا فرسا بيضاء ممسكا بعنانها مرتديا عمامته المألوفة، وكلها أوصاف تتجسد فيها صفات الشجاعة والفروسية فضلا عن النبوغ والشاعرية.

(١) رسالة التوابع والزوابع ١١٢

الفصل الثاني: توابع الكتّاب

صاحبا الجاحظ وعبد الحميد:

وعلى الرغم من أن العنوان ينص على هذين الكاتبين فإن هذا القسم من الرسالة يتضمن عددا من العناوين الفرعية التي تشير إلى شخصيات أخرى مثل صاحب الإفليلي وصاحب بديع الزمان الهمذاني، والسر في حفاوة الكاتب بهؤلاء أنهم أعمق الكتّاب أثرا في أدبه ونفسه سواء أكان تأثيرا إيجابيا أم سلبيا، وبتعبير آخر فإن ابن شهيد حرص على لقاء الجاحظ وعبد الحميد لمكانتهما بين الكتّاب وشهرتهما في الأوساط الأدبية،

وأما بديع الزمان الهمذاني فهو أظهر الكتّاب أثرا في أدبه وبخاصة أن كليهما يتخذ من السجع محورا لكتاباته، ولعل هذا هو السر في اختيار (زبدة الحقب) ليكون اسما لتابع بديع الزمان الهمذاني، والزبدة من كل شيء خلاصته والحقب جمع حقبة وهي المدة الزمنية المعروفة، ولا يخفى ما يحمله الاسم من إعجاب ابن شهيد بأستاذه ورائده في هذا المسلك العجيب والخلق الفني المتميز، وبخاصة أنه أفاد من مقامتة الإبليسية ما هيأ له سبيل النظم ومهد له طريق الإبداع، وأهم من ذلك وأجدر بالتسجيل أن بديع الزمان الهمذاني يعد من أبرز الكتاب الذين أغرموا بالسجع في كتاباتهم النثرية وهي السمة التي تغلب على كتابات ابن شهيد بصورة واضحة،

وأما أبو القاسم الإفليلي فإن لقاء ابن شهيد به في معرض اللقاء بالكتّاب إنما كان بهدف الإزراء والسخرية وهو ما يتجلى في اختيار أنف

الناقة اسما له فضلا عما تتضمنه الرسالة من أوصاف ساخرة وعبارات مؤلمة(١)

الفصل الثالث: نقاد الجن

وفي هذا الفصل يتطلع ابن شهيد إلى نيل الإعجاب من نقاد الجن والظفر بإجازتهم شعره، واستدعى ذلك ملاقاة أبرز نقادهم وهما: شمردل السحابي وفرعون الجون اللذين أطالا الاستماع لنماذج من أشعار ابن شهيد ونظرائه من شعراء الإنس والجن كالنابغة والمتنبي وفاتك بن الصقعب ولم يملك أحد نقاد الجن بعد الإصغاء لشعره إلا أن يصيح صيحة الإعجاب والظفر(٢) ولا يقتصر اللقاء على إقرار نقاد الجن بتفوق ابن شهيد في ميدان الشعر بل يتعداه إلى التسليم لعشيرته بالسبق في هذا الميدان، يدل على ذلك ما أورده من نماذج شعرية منسوبة لأبيه تارة ولأخيه تارة ولجدّه تارة أخرى(٣)

ويتصل بما سبق دلالة أسماء النقاد في عالم الجن على مضمون الرسالة ومحتواها، فالشمردل هو القوي السريع والسحابي مأخوذ من السحابة وهي الغيمة التي تحمل المطر، وقد يكون مأخوذا من سحبان، يقال رجل سحبان إذا كان لسنا بليغا، ومنه سحبان وائل الذي يضرب به المثل في البلاغة والفصاحة، أما فرعون فيطلق على كل طاغ متمرد، والجون هو

---

١) ينظر رسالة التوابع والزوابع ١١٥

٢) السابق ١٣٨

٣) السابق ١٤٦

الأسود المشرب بحمرة(١) وكلها أسماء تدل على القوة الخارقة التي تنسجم مع الزوابع والأعاصير ومردة الجن والشياطين.

الفصل الرابع: حيوان الجن

والعنوان يظهرنا على الشهرة المدوية لابن شهيد في عالم الجن وارتضائهم حكمَه فيما شجر بينهم من خلاف حول شعر لبغل وشعر لحمار، وهنا ينفّس ابن شهيد عما يعتمل في نفسه تجاه غريمه الإفليلي الذي اختار له هذا الاسم البغيض: "كان أنف الناقة أجدر أن يحكم في هذا الشعر"(٢)، وتمتد الرحلة حتى يصل الركب إلى (الإوزّة الأديبة) وقد اتخذ منها ابن شهيد رمزا للأدعياء والخصوم من اللغويين فتراه يصورها في صورة ساخرة إذ سماها العاقلة وكنّاها أمّ خفيف ووصفها بالغرور وأنكر عليها النظر في الأدب قبل إحراز أدواته.

والمتأمل فيما اختاره ابن شهيد من عناوين وما خلعه على توابع الشعراء والكتّاب والنقاد من الأسماء والصفات يجد أنها في مجملها تحمل معاني القوة والشجاعة كما تدل على العبقرية النادرة والشاعرية الفذّة بحيث يمكن القول بأنه اتخذ من هذه الشخصيات الخيالية معادلا موضوعيا لما يعتمل في نفسه الواهنة من صفات القوة والشاعرية مما يؤهله للتفوق على نظرائه وشائنيه من الخصوم والحسّاد، صحيح أنه جعل من بعض التوابع فرسانا وبعضهم نوابغ لكنه اختص تابعه زهيرا بن نمير بصفات القوة والنبوغ

---

١) يراجع: لسان العرب والقاموس المحيط

٢) رسالة التوابع والزوابع ١٤٩

في آن، إيذانا باجتماع هذه الصفات في الكاتب نفسه وتفوقه على خصومه في كل الميادين،

يضاف إلى ما سبق اقتدار العناوين الفرعية والعناوين فرعية الفرعية على نشر أضوائها في فضاء النص، وحاجة المتلقي إليها كي تأخذ بيده في تلك الدروب المتشابكة والعوالم المجهولة، وقد ساهمت تلك العتبات الفرعية بقدر كبير في التعريف بالشخصيات سواء أكانت إنسيّة أم جنيّة أم حيوانية وسبر أغوارها النفسية والإشارة إلى بيئاتها ومقومات إبداعها.

المبحث الثاني: الاستهلال

يأتي الاستهلال في طليعة العتبات نظرا لما يناط به من التعريف بالنص وذكر دواعي الكتابة، وأهم من ذلك أنه يسلط الأضواء الكاشفة على مضمون النص ومحتواه، حيث يمد القارئ بعدد من الإشارات الهادية التي تضيء له الدروب وتفتح أمامه المغاليق وتكشف الخفايا والأسرار.

ولقد وردت لفظه (هلل) في المعاجم العربية فيقال: هلّ السحاب بالمطر، وهلّ المطر هلّا، وانهل بالمطر انهلالا، واستهل: وهو شدة انصبابه، والهلل: أول المطر، واستهل الصبي بالبكاء: رفع صوته وصاح عند الولادة، والهلال غرّة القمر، وأهلّ الشهر واستهلّ ظهر هلاله وتبيّن(١).

ويعرف الاستهلال بأنه: "تأليف مخصوص بصيغ وتراكيب تحوي الإثارة والتشويق بين القارئ والكاتب والنص، وعلامة لغوية دلالية ذات سحر آخذ من شأنها أن تفتح النصوص أمام القاري للتأويل لطاقاتها وقدراتها الدلالية"(٢)

ولقد حظي الاستهلال باهتمام النقاد قديما وحديثا وإن سماه بعضهم الخطاب المقدماتي، وهناك من سماه مدخلا أو تمهيدا أو مقدمة، يقول الدكتور جميل حمداوي: "للمقدمة أهمية كبرى في استكشاف عوالم النص الكبرى والصغرى، واستقرائه بنية ودلالة ووظيفة وسياقات، ويعني هذا أن المقدمة تساعد المتلقي الضمني أو النموذجي على فهم النص فهما عميقا، وتفسيره إضاءة ومرجعا وتأويلا، ومن هنا فللمقدمة أهمية فكرية

---

١) ينظر: لسان العرب(هلل).

٢) ينظر: العتبات النصّية في روايات محمد حسن علوان٣٠٥

ونقدية وأكاديمية واجتماعية وأخلاقية وأيدلوجية وتوثيقية وإشهارية وإعلانية ونصية"(١)، وليس أدل على أهمية الاستهلال من أنه يمثل خطابا مستقلا ونموذجا أدبيا له مقوماته وعناصره "فالخطاب المقدماتي ما هو إلا نص مستقل بذاته له بنيته الخاصة ودلالات متعددة ووظائف"(٢).

ولقد حظي الاستهلال أكثر من غيره من العتبات بحفاوة القدماء "فقد كانت المقدمة في الثقافة العربية بمثابة خطبة استهلالية قد تكون مقتضبة أو موسعة، ومن ثم فقد كانت ترتكز على ثلاثة محاور بارزة أولها: أسباب الكتابة ودواعيها وأهدافها، وثانيها: تحديد المتلقي أو المرسل إليه الذي يمكن أن يكون سلطانا أو خليفة أو أميرا أو كبير علية القوم، أو قارئا متلقيا عاما أو خاصا، وثالثها: تبيان الكيفية أو الطريقة التي ألف بها العمل"(٣).

ويقول العسكري في التنويه بأهمية الاستهلال: "والابتداء أول ما يقع في السمع من كلامك، والمقطع آخر ما يبقى في النفس من قولك، فينبغي أن يكونا جميعا مونقين"(٤)

كما تتضح رؤية القدماء للاستهلال من قول أبي هلال أيضا: "وإذا كان الابتداء حسنا بديعا ومليحا رشيقا كان داعية إلى الاستماع لما يجئ من الكلام بعده ولهذا المعنى يقول الله عز وجل: آلم ، و حم ، و طس، فيقرع

---

(١) شعرية النص الموازي ١٢

(٢) السابق ١٨١

(٣) السابق نفسه

(٤) الصناعتين، الكتابة والشعر ت علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان١٤١٩هـ /٤٣٥

أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد، ليكون ذلك داعية لهم إلى الاستماع لما بعده،"(١)

وبدهي أن تتنبه الدراسات الحديثة لدور الاستهلال في الكشف عن أعماق النصوص والوقوف على أبعادها ومراميها، وتجدر الإشارة إلى أن جاك دريدا ميّز بين الاستهلال والمقدمة "فالاستهلال يرتبط بالنص والمؤلف ارتباطا قويا ومستمرا لا يتأثر بالطبعات، كما ينطلق من النص في معالجته لقضايا وإشكالات تكون لها علاقة بالنص، أما المقدمات فهي تختلف مع الطبعات وتزداد بتعددها، فكل طبعة لها مقدمة، كما نجد أن المقدمة يمكن أن يضعها الكاتب نفسه أو تكون من وضع غيره، بينما الاستهلال يكون من وضع الكاتب، ويعرض فيه للقارئ بعض الأفكار حول موضوع النص"(٢)

وإذا كانت الاستهلال توطئة للمتن وتهيئة للإبداع وإضاءة للنص ومفتتحا للكتابة، فإن استهلال ابن شهيد ـ وهو من صنع الكاتب نفسه وقد سمّاه مدخلا ـ يعد نموذجا للانسجام والتلاحم بين الاستهلال والمحتوى، وبيان ذلك أن مدخل الرسالة يعد تمهيدا بارعا ومدخلا فنيا واستهلالا مبتكرا، وفيه يشير الكاتب إلى أمارات نبوغه ودلائل تفوقه التي تنبأ بها معاصروه وعلى رأسهم أبو بكر بن حزم فتراه يخاطبه قائلا: "لله أبا بكر ظنٌّ رميتَه فأصميتَ، وحَدسٌ أملتَه فما أشويت أبدَيتَ بهما وجه الجليّة، وكشفت عن

(١) السابق ٤٣٧

(٢) ينظر: عتبات الكتابة في الرواية العربية، عبد المالك أشهبون دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية، سوريا ط الأولى ٢٠٠٩/ ٦٨

غُرَّةِ الحقيقة، حين لمحت صاحبك الذي تكسّبتَه ورأيتَه قد أخذ بأطراف السّماء، فألّف بين قمريها، ونظم فرقديها، فكلما رأى ثغراً سدَّه بسُهاها، أو لمَح خرقاً رمَّه(١) بزُباناها(٢) إلى غير ذلك، فقلتَ: كيف أوتي الحُكم صبياً، وهزّ بجدعِ نخلة الكلام فاسّاقط عليه رُطباً؛ أما إن به شيطاناً يهديه، وشيصباناً يأتيه وأقسم أنَّ له تابعة تُنجدُه، وزابعة تؤيدّه، ليس هذا في قدرة الإنس، ولا هذا النفس لهذه النفس، فأما وقد قُلتها أبا بكرٍ فأصِخ أسمعك العجب العُجاب"(٣).

وفي هذه الأسطر نلحظ أن ابن شهيد قد أغرم ـ كعادته ـ بالإعجاب بنفسه والفخر بملكاته، وها هو ذا يخبرنا أن نبوغه لم يكن خبط عشواء إنما هو ثمرة الذكاء الفطري والتوقد الذهني، فلا غرابة أن يعلو نجمه مطاولا السماء في علاها والكواكب النيّرة في ذراها، ولعل السر فيما خلع على نفسه من أوصاف في مستهل رسالته هو تهيئة المتلقي وتأسيس أفق انتظاره لاستيعاب ما يسرده من أحداث أسطورية وحكايات عجائبية.

ولا ينسى الكاتب في خضم الفخر والعجب أن يظهرنا على عدد من الروافد الثقافية التي أسهمت على استحياء ـ في زعمه ـ في تشكيل موهبته الفذة وملكاته الخارقة: "كنت أيّام كُتاب الهجاء، أحِنُّ إلى الأدباء، وأصبُو إلى تأليف الكلام، فاتبعتُ الدَّواوين، وجلستُ إلى الأساتيذ، فنبض لي عِرقُ الفهم، ودرَّ لي شريانٌ العلم، بموادَّ روحانية، وقليلُ الالتماح من النظر

(١)رسالة التوابع والزوابع ٨٧

(٢)الزباني: كوكبان نيران

(٣) رسالة التوابع والزوابع٨٨

يزيدني، ويَسيرُ المطالعةِ من الكتب يُفيدُني، إذ صادف شنٌّ العلم طبقة، ولم أكُن كالثلجِ تقتبس منه ناراً، ولا كالحمار يحملُ أسفاراً، فطعنت ثُغرة البيان دراكاً، وأعلقتُ رجل طيره أشراكاً، فانثالت لي العجائب، وانهالت عليَّ الرغائب"(١).

فالرجل لا يرى بأسا من تلقي العلم والجلوس إلى الأساتيذ لكنه اكتفى بالقليل من النظر واليسير من المطالعة، ولا تخلو عباراته من التعريض بمعاصريه والسخرية من خصومه كلما واتت الفرصة، فقد صورهم تارة في صورة الثلج الذي لا يمنح نارا، وتارة في صورة الحمار يحمل أسفارا.

ثم ينتقل ابن شهيد إلى تفسير علاقته بالجن وسر اصطفائهم له فيقول: "وكان لي أوائِل صبوتي هوى اشتدَّ به كلفي، ثم لحقني بعد مَلَلٌ في أثناء ذلك المَيل فاتفق أن مات من كنتُ أهواه مدَّة ذلك المَلَل، فجَزِعتُ وأخذتُ في رثائه يوماً في الحائرِ (٢)، وقد أُبهمت علي أبوابُه، وانفردتُ فقلت:

تولى الحِمامُ بظبيِ الخُدُورِ، وفازَ الرَّدى بالغزالِ الغريرِ

وكنتُ مَلِلتُكَ لا عن قِلىً ولا عن فسادٍ جرى في ضميري

(١) رسالة التوابع والزوابع٨٨

(٢) الحائر: البستان.

فأُرتجَ عليَّ القولُ وأُفحمتُ، فإذا أنا بفارسٍ ببابِ المجلِس على فرسٍ أدهم كما بَقَل وجهُه(١) قد اتكأ على رُمحه، وصاح بي: أعجزاً يا فتى الإنس؟ قلتُ: لا وأبيك، للكلامِ أحيان، وهذا شأنُ الإنسان! قال لي قُل بعده:

كمِثلِ مَلالِ الفتى للنعيم، إذا دامَ فيه، وحالِ السُّرورِ

فأثبتُّ إجازته، وقلت له: بأبي أنت! من أنت؟ قال: أنا زُهيرُ ابن نُمير من أشجعِ الجنِ، فقلتُ: وما الذي حداكَ إلى التصوُّرِ لي؟ فقال: هوى فيك ورغبةٌ في اصطفائك، قلت: أهلاً بك أيها الوجهُ الوضّاح، صادفت قلباً إليك مقلوباً، وهوى نحوك مجنوباً"(٢)

فابن شهيد وقد أنفق جلّ عمره في إشباع رغبات الجسد وشهوات النفس، قد تعلق قلبه بإحدى الحسناوات لكن المنايا ما لبثت أن عاجلتها فطفق ينظم الشعر في رثائها وحين أرتج عليه وانعقد لسانه عن النظم تراءى له صنوه من عالم الجن وهو زهير بن نمير الذي أجازه بشعره واختاره لصحبته واصطفاه لمرافقته في رحلة خيالية إلى عالم الجن للقاء توابع الشعراء والكتاب والخطباء والنقاد الذين أحسنوا استقباله وأكرموا وفادته، وأجازوا شعره ونثره، وخلعوا عليه من شارات الإعجاب ودلائل النبوغ ما يتراجع بإزائه سائر الأدباء والمبدعين ليس في قرطبة وحدها أو الأندلس فحسب وإنما في جميع العصور وسائر البيئات،

(١) بقل وجهه: خرج شعره

(٢) رسالة التوابع والزوابع٨٩

ولما كان اسم زهير بن نمير يتصدر مدخل الرسالة فإنه يحسن التوقف مع تلك الشخصية المحورية أما الاسم وهو (زهير) فهو "تصغير للزهر، والزهرة تعني البياض، وزهرة الدنيا حسنها وبهجتها، فزهير صغّرها أبو عامر للتلميح والمديح، وهو أبيض وبهيج حسن، أما نمير فالنمير من الماء وهو الكثير والزاكي والنامي والناجع، وأبو عامر اختار هذه التسمية لما فيها من تفاؤل وإشراق وبهجة وخير كثير وهو ما يتمناه ويرجو أن يكون"(١)

ولا يخفى أن اسم زهير يحمل في طياته دلالة محببة إلى كل النفوس لارتباطه بالأزهار والرياحين، ولا يختلف اسم الأب كثيرا فهو يدل على العذوبة والصفاء، ولعل السر في اختيار هذين الاسمين (زهير ونمير) هو ما يمكن تسميته براعة الاستهلال وإثارة الذائقة نحو التلقي الإيجابي لهذه الأحداث العجيبة صنيع قدامى الشعراء في استهلال قصائدهم بالغزل الرقيق والنسيب المحبب.

وأما عشيرة زهير فهي أشجع الجن وهو النظير الأسطوري لأشجع الإنس عشيرة ابن شهيد وهو بهذا يرمي إلى الافتخار بنفسه لأنه ربط قبيلته بهذا الفارس الشجاع الذي تدل ملامحه الخارجية على الرهبة والقوة، فالتابع وهو زهير بن نمير من قبيلة أشجع، وحسبك بالاسم دلالة على الشجاعة والبطولة وتلك من المفارقات التي تسلط أضواءها على المتبوع وهو ابن شهيد، ولعل مما يؤكد ذلك أن ابن شهيد قد جعل جميع شخصيات رسالته تقريبا فرسانا، وما تكراره لمظاهر الفروسية إلا أنه أراد أن يظهر هو الآخر

(١) رسالة التوابع والزوابع٨٩

لمتلقيه في هيئة الفارس حتى يكتسب رهبة ومهابة كتلك التي اكتسبها مع التوابع التي قابلها فهزمها على الرغم من مظهرها الباعث للرهبة.

ومما يؤكد رغبة ابن شهيد في إظهار نسبة الأشجعي وإبراز صفة الشجاعة لدية أنه حرص على مدار فصول الرسالة على تسليط الضوء على تلك المناقب والصفات وهذا ما نلحظه من رغبته في مناداة التوابع له بنسبة الأشجعي دون اسمه لما يحمله هذا اللقب المحبب من معاني الشجاعة والقوة والرهبة والمهابة .

ويتضافر وصف المكان مع الصورة المثلى لابن شهيد وتابعه زهير بن نمير من حيث البهاء والرونق برغم تناقضها مع أفق الانتظار لدى القارئ الذي تتبادر إلى ذهنه صورة غامضة لعالم مخيف تجوس في أنحائه المقبضة مخلوقات شيطانية وكائنات أسطورية، لكنها تستحيل ـ في زعم كاتبنا ـ جنات وأنهارا " حتى التمحت أرضا لا كأرضنا، وشارفت جوًّا لا كجوّنا متفرع الشجر عطر الزهر"(١)

ويظهر طغيان الأثر النفسي للشاعر على خصائص المكان لاسيما أنه قد حرص على مدار فصول الرسالة أن يخلق عالما مثاليا تحتشد فيه مظاهر الفخر ومقومات الإعجاب "وهذا الفضاء السردي يحمل في داخله رغبة من ابن شهيد في أن يبتعد عن الواقع ويلجأ إلى مثل هذا المكان الذي يستأنس فيه بأشجاره وأطياره وأزهاره"

وسواء أكان الباعث على إضفاء الطابع الجمالي على المكان هو الفرار من الواقع المؤلم، أو التأثر بالبيئة الأندلسية فإن ابن شهيد حشد

(١) رسالة التوابع والزوابع٨٩

لتابعه كثيرا من الصفات الإيجابية للإيحاء بانعكاسها عليه وتوفرها فيه لاسيما أنه أكد التشابه بين كل شاعر وتابعه مما يستلزم التشابه بين ابن شهيد وزهير بن نمير فكان هذا الحشد الهائل من الصفات الإيجابية سواء في ذلك ما يتعلق بالاسم والقبيلة أم الشجاعة والفروسية أم البيئة المكانية.

والمتأمل في صفات ابن شهيد واسم تابعه زهير بن نمير ودلالته وبيئته يلحظ أنها تلقي بظلالها على سائر التوابع بحيث يمكن أن نردّها جميعا إلى أصلين رئيسين هما القوة والنبوغ، أما الشخصيات التي تتجلى فيها صفة النبوغ فهم: عتيبة بن نوفل صاحب امرئ القيس وحسين الدنان صاحب أبي نواس وعتاب بن حبناء صاحب أبي تمام وأبو الطبع صاحب البحتري وزبدة الحقب صاحب بديع الزمان الهمذاني، وأما الشخصيات التي تتجسد فيها صفة القوة فهم عنتر بن العجلان صاحب طرفة بن العبد وأبو الخطّار صاحب قيس بن الخطيم وحارثة بن المغلس صاحب المتنبي بالإضافة إلى فاتك بن الصقعب والشمردل السحابي وفرعون الجون ونظرائهم من نقاد الجن،

وهنا يمكن القول: إن مدخل رسالة التوابع والزوابع قد توفرت فيه مقومات الاستهلال الجيد، والتقديم البارع، والإجمال الذي يفضي إلى التفصيل، والتمهيد الذي لا غنى عنه قبل ولوج تلك العوالم المبهمة والبيئات الأسطورية وما يحتشد فيها من شخصيات خيالية وأحداث عجيبة.

المبحث الثالث: العتبات الموزاية

وتنتمي هذه العتبات إلى ما يعرف عند النقاد بالنص الموازي وقد عرفه معجم السرديات بأنه: "مجموع العناصر النصّية وغير النصّية التي لا تندرج في صلب النص السردي، لكنها به متعلقة وفيه تصب، ولا مناص له منها، فلا يمكن أن يصلنا النص السردي مادة خاما، عاريا دون نصوص وعناصر علامية وخطابات تحيط به، لذا عدّ جيرار جينيت النص الموازي الجسر الذي يصل بين النص والجمهور، والشرط الذي به يتحول النص إلى كتاب"(١) وتعزى هذه العتبات إلى الناشر أو المحقق وقد سمّاها جينيت (مناص الناشر) ويقصد بها " كل الإنتاجات المناصّية التي تعود مسؤوليتها للناشر المنخرط في صناعة الكتاب وطباعته"(٢)

وينقسم النص الموازي إلى قسمين: القسم الأول: النص الموازي الداخلي ويشمل كل العناصر النصية وغير النصية المصاحبة للنص المركزي والمحيطة به والمجاورة له، مثل الغلاف الأمامي وما يحتويه والغلاف الخلفي والعنوان واسم المؤلف وجهة النشر وتاريخه وجنس العمل والإهداء والتقديم والتنويه والتصدير والتنبيهات والهوامش وعناوين الفصول والعناوين الفرعية والمقتبسات والرسوم وشكل الكتابة ...إلى آخر هذه العناصر التي تكون مبثوثة حول النص المركزي ومصاحبة له،

---

(١) معجم السرديات محمد القاضي وآخرون، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، تونس ط ١، ٢٠١٠: ٤٦٢

(٢) عتبات ٤٥

والقسم الثاني هو النص الموازي الخارجي ويشمل كل ما يتعلق بالنص المركزي ولكنه يكون بينه وبين الكتاب بعد مكاني وزماني مثل الدراسات النقدية حول النص والحوارات واللقاءات والندوات التي تدور حول النص"(١)

وبناء على ما سبق فإن دراسة بطرس البستاني لرسالة التوابع والزوابع التي صاحبت متن رسالة التوابع والزوابع تنتمي إلى النص الموازي الخارجي نظرا لأنها ليست من صنع الكاتب فضلا عن البعد الزماني بين ابن شهيد والبستاني، لذا فإنه يحسن الوقوف عند تلك العتبات لكونها خطابا مساندا يسهم في فهم الرسالة وتأويلها وإضاءة جوانبها وتسليط الضوء على كاتبها وعصره فضلا عن رسالته ومكوناتها الأساسية، وفيما يلي عرض لأظهر العتبات التي تتضمنها دراسة البستاني للرسالة:

أولا: الغلاف

جاءت لفظة (غلاف) في لسان العرب من الفعل غلف والغلاف: الصوان وما اشتمل على الشيء مثل أكمام الزهر، والغلاف: غلاف السيف والقارورة، وسيف أغلف وقوس غلفاء وكذلك كل شيء في غلاف، كما أن الغلاف وعاء لما فيه ومن صفتهﷺ: يفتح قلوبا غلفا أي مغطاة واحدها أغلف فالغلاف في اللغة مأخوذ من تغليف الشيء وحفظه وصيانته، أما في الاصطلاح فهو: "أيقونة إعلامية وكوّة نصّية تسلط الضوء على ما يقوم بحمايته وهو النص أو المتن، وهي من بين وظائف الغلاف كما هو الحال

(١) النص والنص الموازي د. حسن حجاب الحازمي٩،١٠ باختصار

في خلفية المسرح في الدراما المسرحية، لأنها أول ما تقع عليه العين وآخر ما يبقى في الذاكرة عند الانتهاء من النظر إليها في حالة المسرح أو القراءة في حالة الكتاب أو الرواية"(١)

ولقد حظي الغلاف باهتمام الكتّاب والناشرين في العصر الحديث وتنوعت مدارس الأغلفة تنوعا لا حصر له نظرا لما يحمله الغلاف من تعبير عن رؤية الكتّاب والناشرين، "فالغلاف بوابة رئيسية للعمل ولن يستطيع أحد الدخول إلى ذلك العمل إلا إذا تمكن من فتح هذا الغلاف وفك شفراته وتقديم هويته الثقافية والتي من خلالها يسمح له بالمرور والتجول داخل العمل، ذلك أن الغلاف وما فيه من إشارات وتلميحات تدل على المتن الأساسي للرواية"(٢)

وليس المقصود بدراسة غلاف رسالة (التوابع والزوابع) هو الصورة البصرية للغلاف وإنما يناط بها إلقاء الضوء على العناصر اللغوية التي تتجلى في صفحة الغلاف وفي طليعتها: العنوان واسم المؤلف، أما العنوان فقد سبقت دراسته، وأما اسم المؤلف فإنه يحسن التنويه به في هذا السياق لما له من دور في تحقيق الغاية من هذا البحث والتتبع الدقيق لسائر العتبات سواء أكانت أصلية أم موازية،

---

(١) عتبات النص في الرواية العربية ٢٢٤

(٢) السابق ٢٢٥

اسم المؤلف:

من بدائه الأمور أن ينسب العمل إلى كاتبه وهذه النسبة هي التي تدفع جموع القراء إلى الإقبال على كتاب دون آخر، ومن العبث أن يتم تجاهل أسماء المؤلفين لما يمثله ذك من العدوان على ملكيتهم الفكرية وحقوقهم الأدبية وتلك مسألة حظيت في أدبنا العربي بقدر كبير من الحفاوة والاهتمام،

وقد حرص جينيت على التأكيد على هذه المسألة المهمة حيث يقول: "يعد اسم الكاتب من بين العناصر المناصية المهمة، فلا يمكننا تجاهله أو مجاوزته لأنه العلامة الفارقة بين كاتب وآخر، فبه تثبت هوية الكتاب لصاحبه، ويحقق ملكيته الأدبية والفكرية على عمله دون النظر للاسم إن كان حقيقيا أو مستعارا"(١)

ولقد بلغ من حفاوته باسم المؤلف أنه اهتم بمكان وجوده في الغلاف حتى لا تمتد إليه يد العبث والاعتداء: "أما عن مكان وجوده فغالبا ما يتموضع اسم الكاتب في صفحة الغلاف وصفحة العنوان وفي باقي المصاحبات المناصية ويكون في أعلى صفحة الغلاف بخط بارز وغليظ للدلالة على هذه المليكة والإشهار لهذا الكاتب"(٢)

كما أشار جينيت إلى دور اسم المؤلف في التسويق لهذا الكتاب فضلا عن التعريف بالكاتب وذلك من خلال تناوله لوظائف اسم الكاتب "أما

---

(١) عتبات ٦٣

(٢) عتبات ٦٤

الوظائف التي تبحث في كيفية اشتغال اسم الكاتب فنجد من أهمها: وظيفة التسمية، وهي التي تعمل على تثبيت هوية العمل للكاتب بإعطائه اسمه، ووظيفة ملكية وهي الوظيفة التي تقف دون التنازع على أحقية تملّك الكتاب، فاسم الكاتب هو العلامة على ملكيته الأدبية والقانونية لعمله، ووظيفة إشهارية وهذا لوجوده على صفحة العنوان التي تعد الواجهة الإشهارية للكتاب وصاحب الكتاب الذي يكون اسمه عاليا يخاطبنا بصريا لشرائه"(١)

هذا ويعد اسم الكاتب من العتبات المهمة التي تسهم في إضاءة النص وتشكيل أفق الانتظار لدى القارئ الذي يحدس ـ من خلال مطالعة اسم المؤلف ـ بمضمون الكتاب والسمات التي تميز الكاتب عن غيره من الكتّاب والمؤلفين لأنه "يمنح سلطة توجيه المتلقي/القارئ من خلال العلائق الجدلية التي تربط اسم المؤلف بنصه، فالمتلقي/القارئ يستطيع أن يحدد الخصائص الأسلوبية والفكرية لهذا المؤلف أو ذاك"(٢)

فاسم المؤلف ـ متآزرا مع العناصر اللغوية الأخرى ـ يعد كلمة السر التي تفتح مغاليق النص أمام المتلقي وتمنحه المعلومات المبدئية التي تأخذ بيده نحو النص تمهيدا للفهم والاستيعاب لخصائص النوع الأدبي وسماته الأساسية،

---

(١) السابق ٦٥

(٢) عتبات النص الأدبي باسمة درمش مجلة علامات، النادي الثقافي جدة ج٦١مجلد١٦ سنة٢٢٧

ولقد حمل غلاف رسالة التوابع والزوابع اسم (ابن شهيد الأندلسي) وجاء في أعلى الصفحة متعاليا على غيره من العتبات، وقد ألحق بالاسم التعريف بالبقعة الجغرافية والحقبة التاريخية التي ينتمي إليها ابن شهيد وقد أسهم ذلك في إضاءة النص والتنويه بالبيئة الأندلسية التي شهدت الظهور المبكر لهذا الفن القصصي، ويعد ظهور اسم الكاتب على غلاف الرسالة واستعلاءه على كثير من العتبات دليل إثبات لانتماء الرسالة للكاتب محققا ملكيته الفكرية والأدبية لها، وتكمن أهمية تلك المسألة في دفع الشبهات ودحض المزاعم التي أثارها خصوم ابن شهيد بدافع التشكيك في مقدرته الإبداعية واتهامه بالإغارة على نتاج السابقين، كما أسهم في الوقت نفسه في إغراء المتلقين بالإقبال على قراءة الرسالة وتتبع فصولها.

ويستتبع اسم المؤلف اسم المحقق لما يناط به من تأكيد على جودة التحقيق والدراسة المتأنية لتلك الرسالة الباذخة، وهذا ما يتجلى في اسم الأديب اللبناني والموسوعي العربي بطرس البستاني الذي عرف بالتأليف اللغوي والتحقيق الأدبي، وليس أدل على ذلك من تحقيقه تلك الرسالة والتمهيد لها بدراسة أدبية، وقد كان وجود اسمه على صفحة الغلاف من دوافع إقبال القراء عليها وبخاصة أنه أمدّ القارئ بعدد من العتبات والإضاءات.(١)

---

(١) بطرس البستاني (١٨١٩-١٨٨٣) أديب لبناني وموسوعي ومؤرخ، ألف أول موسوعة باللغة العربية في العصر الحديث وهي دائرة معارف البستاني، كما ألف معجم محيط المحيط وهو أول قاموس عصري في اللغة العربية، وقد صنّف كتباً متعددة في النحو والصرف واللغة والأدب، كما ترك عدداً من الخطب والمحاضرات والمقالات التي كان يلقيها في المنتديات والجمعيات ويدبجها في الجرائد والمجلات، ينظر: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر الموقع الإليكتروني لمؤسسة هنداوي الجزء الرابع

ثانيا: العناوين

سبقت الإشارة إلى أن العنوان هو مفتاح العمل الأدبي وأهم أبوابه وأظهر مداخله وعتباته، وفي الصفحات الآتية أتوقف مع العناوين التي اختارها بطرس البستاني لدراسته ومعرفة مدى نجاحه في توظيفها بحيث تمهد الطريق للتلقي الإيجابي لمضمون الرسالة لا سيما أن جهوده لم تقتصر على الترجمة الأدبية للكاتب أو التوثيق العلمي لمتن الرسالة وإنما امتدت لتشمل العصر الذي ينتمي إليه ابن شهيد وما يموج به من فتن واضطرابات، وفيما يلي عرض للعناوين التي تتضمنها دراسة البستاني للكاتب وعصره وما يتوفر فيها من سمات العنوان الجيد سواء من حيث الطرافة والجاذبية أم الوضوح والشمول، وأهم من ذلك وأجدر بالتسجيل أن المتأمل في تلك العناوين يستطيع أن يكوّن رؤية جمالية في غاية التركيز والتكثيف ليس لرسالة التوابع والزوابع وكاتبها فحسب وإنما للعصر الذي ينتمي إليه ابن شهيد أيضا:

أولا: ابن شهيد

- **في الدولة العامرية**
- **الفتنة**
- **ابن شهيد والمؤتمن**
- **مرضته الأخيرة**
- **لهو ومجون**
- **أصحابه وأهل مودته**
- **خصومه وحساده**

فالعنوان الأول (ابن شهيد) وما يندرج تحته من عناوين فرعية يظهرنا على العصر الذي ينتمي إليه الكاتب وما كان يحظى به آباؤه وأجداده من حفاوة الخلفاء والأمراء في ظل الدولة العامرية التي هيمنت على مقاليد الحكم في تلك الحقبة، بالإضافة إلى مكانة ابن شهيد بين أهل عصره وما كان يربطه بهم من أواصر الصداقة الحميمة "فكان منهم الوزراء والأمراء ومنهم الأدباء، جمعتهم قصور قرطبة ودواوينها ومجالس سياستها وأنسها"(١)

وقد سبقت الإشارة إلى انغماس ابن شهيد في حياة اللهو والترف وإطلاق العنان للشهوات وإدمان مجالس الشراب مما كان سببا فيما أصابه من مرض واعتلال بالإضافة إلى ما جرّه عليه من خصومات وأحقاد،

ولقد ورد في رسالة التوابع والزوابع ذكر ثلاثة أشخاص لا يملّون من الطعن عليه وهم: أبو محمد وأبو القاسم وأبو بكر وقد ألهبهم ابن شهيد بسياط نقده وسخريته، لأنهم أقضّوا مضجعه وكدّروا صفو حياته السياسية والاجتماعية، وأقلقوا حياته الأدبية باعتراضاتهم ومناقضاتهم، فشغلوا جانبا من شعره ورسائله وحملوه على اصطناع النقد، وتصنيف رسالة التوابع والزوابع.

ثانيا: أدب ابن شهيد

- **الشاعر**
- **الكاتب**

---

(١) رسالة التوابع والزوابع ٢٤

- **الناقد**

والعنوان بصياغته الموجزة وما يتسم به الحصر والقصر يظهرنا على تنوع صور الإبداع لدى أديبنا الذي أثبت براعته في شتى ميادين القول وطرائق الإبداع، فهو في الشعر يبذّ طوائف الشعراء الجاهليين والعباسيين، وفي النثر يجاوز ما سطرته يراعة الجاحظ وعبد الحميد، وفي النقد يتراجع بإزائه أساطين البيان وسائر اللغويين، كما يفسر العنوان من طرف خفي ما يكتنف علاقاته الاجتماعية من الحقد والحسد، والسر في ذلك أن ما يعتمل في نفوس حسّاده وشانئيه كان مبعثه تفرد ابن شهيد وتفوقه على معاصريه من الأدباء والنقاد.

ثالثا: رسالة التوابع والزوابع:

- **نسختها**
- **تاريخها**
- **هدفها**
- **أقسامها**
- **هي ورسالة الغفران**

وبرغم ما يغلب على هذه العناوين من التقريرية والمباشرة فهي تأخذ بيد القارئ نحو عوالم النص وتبث في روعه قدرا من الطمأنينة تجاه هذه الرسالة وتنفي أثارات الشك والريبة التي تثور في نفوس المتلقين تجاه النص، فلد حرص المحقق على إثبات التاريخ الذي سطرت فيه الرسالة، والنسخ التي استعان بها في التحقيق، والهدف الذي من أجله كتبت، والغاية

التي يرمي إليها الكاتب، بالإضافة إلى مكوناتها وأقسامها وعلاقتها بالأشباه والنظائر لا سيما رسالة الغفران لأبي العلاء المعري،

وتتفق الرسالتان في دوران أحداثهما في العالم الغيبي، فتصور رسالة الغفران انتقال بطلها ابن القارح إلى الجنة، ووصفه لما فيها من النعيم، ولقاءه بالشعراء والفلاسفة والأدباء والنحاة كالأعشى وزهير بن أبي سلمى وعبيد بن الأبرص والخنساء والخليل بن أحمد، ثم يحدثنا عن زيارته للجحيم ولقائه بإبليس ورؤيته لعدد من الشعراء أيضا كامرئ القيس وعمرو بن كلثوم وعنترة وطرفة وتأبط شرا وبشار والأخطل..(١) وهو ما يتجلى في تصوير ابن شهيد لرحلته الخيالية في عالم الجن ولقائه بتوابع الشعراء والكتّاب،

لكن أحدا لم يثبت اطلاع ابن شهيد على رسالة المعري وبخاصة أن ابن شهيد قد توفي قبل أبي العلاء بأكثر من ثلاثة وعشرين عاما، وأغلب الظن أن الشاعرين كليهما قد أفادا من قصة الإسراء والمعراج وبخاصة أن استلهام ابن شهيد لهذه المعجزة الخالدة يلبي حاجة نفسية ويحقق ما تصبو إليه نفسه من التفرد والنبوغ، وهذا ما أكدته إحدى الباحثات بقولها:

"ومن أهم النصوص الدينية القصصية التي تعالق معها النص ذاتيا وداخليا قصة الإسراء والمعراج كنصّ مقدس معجز، فالكاتب بعروجه إلى عالم الخيال كان يهدف إلى أن يحقق نوعا من الإعجاز والتفوق لإثبات مكانته والسموّ إلى عالم أبدع وأرقى حيث الحقائق والحكمة والإنصاف،

(١) ينظر: رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ت د.عائشة عبد الرحمن دار المعارف ط التاسعة ١٩٧٧،٣٦٣

عالم يحقق فيه ذاته ويعيد فيه الثقة إلى نفسه المهزوزة ويفجر فيه عبقريته الفنية والأدبية ليدفع الغبن الذي لحقه من خصومه"(١)

وقد تضمن العنوان الفرعي: (هي ورسالة الغفران) إشارة كافية لتوجيه الأنظار نحو التعالق بين الرسالتين، ولا شك أن الربط بين رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري والجمع بينهما في ربقة دليل على أهمية الرسالتين اللتين تمثلان النماذج الأدبية الراقية في أدبنا العربي.

ثالثا: الهوامش والحواشي

للهوامش دور كبير في تفسير ما غمض من عبارات في المتن، والإشارة إلى المرجع الذي أفاد منه المؤلف، بالإضافة إلى الترجمة للأعلام والتعليق على الأحداث، ويعرّف الهامش بأنه "ملفوظ لغوي أو سيميائي قد يكون كلمة أو عبارة أو جملة أو مقطعا أو فقرة أو نصّا أو رقما أو أيقونا ... فليس للهامش حجم نصي محدد، ويتحدد بكونه مرجعا جزئيا مرتبطا بالنص بشكل من الأشكال"(٢)

وللحواشي والهوامش وظائف متعددة سواء أكانت أصلية أم لاحقة "فالوظيفة الأساسية للحواشي والهوامش الأصلية هي الوظيفة التعريفية بالمصطلح الموجود في النص، أما الحواشي والهوامش اللاحقة فتتخذ من

(١) تجليات التناص٦

(٢) شعرية الهوامش في مجموعة (سكر أحمر) لنور الدين كرماط، جميل حمداوي، مقال منشور في موقع دفاتر التربوية بتاريخ ٢٠١٣/٤/١٤

الوظيفة التعليقية سبيلا لفهم النص، أما الحواشي والهوامش المتأخرة فتعتمد على الوظيفة الإخبارية التي تقدم معلومات ببلوجرافية وتجنيسية للنص"(١)

وقد حدد جينيت مكان ظهور الهوامش والحواشي وذكر أنها تأتي في أسفل صفحة الكتاب، أو في آخر البحوث والمقالات، ويمكن أن تجمع في مجلد أو كتاب خاص بها (٢)

والهوامش من العتبات التي لا غنى عنها في مقاربة التوابع والزوابع، ولست أبالغ حين أقول إن تجاهل تلك العتبة المهمة يحول دون الفهم الدقيق والاستيعاب التام لهذه الرسالة الخالدة، نظرا لما تتسم به لغة ابن شهيد من تعمد الحوشية وإيغال في الغموض وحشد للعبارات المسجوعة وسرد للأحداث العجائبية، ومن ثم تتضح الحاجة للهوامش بما يناط بها من تفسير للكلمات وترجمة للأعلام وتحقيق للنصوص وتعليق على الأحداث،

ومن النوع الأول الذي يقدم تفسيرا لغويا للألفاظ والعبارات ما ورد في تفسير كلمة يتظالع: يغمز في مشيته(٣)، مقلة شوساء: أي عين ناظرة بمؤخرها تكبّرا أو تغيّظا(٤)، الحيازيم: جمع الحيزوم وهو ما استدار بالظهر والبطن، يقال شدّ للأمر حيازيمه أي استعد له وتهيأ(٥)، ذات الأكيراح: هو دير حنة، الأكيراح: تصغير أكراح مفردها كرح بالكسر، وهي لفظة سريانية معناها الكوخ الصغير يكون حول الدير ويسكنه الراهب الذي لا قلاية له

(١) عتبات ١٣١
(٢) السابق نفسه
(٣) التوابع والزوابع ١٢٤
(٤) السابق ١١٢
(٥) السابق ١١١

واللفظة وردت في شعر أبي نواس"(١) ولا يخفى أن هذه الألفاظ الغريبة وتلك العبارات الغامضة تقف حائلا بين الفهم الدقيق والاستيعاب الكامل لمضمون الرسالة،

ومن تراجم الأعلام التي تحتل مكانها في الهامش والتي لعبت دورا مهمّا في تقديم الشخصيات ترجمة البستاني لأبي بكر بن حزم قائلا: والمراد به الفقيه أبو محمد بن حزم وذكر الفتح بن خاقان في مطمح الأنفس أن ابن حزم كنيته أبو المغيرة، وكان هو وابن شهيد خلّي صفاء لا ينفصلان في رواح ولا مقيل، وابن حزم هذا من الوزراء والكتّاب(٢)

ويناط بهذه الترجمة تصوير رابطة الصداقة بين الرجلين وتفسر بواعث إفضاء ابن شهيد بأسرار رسالته وسرده تفاصيل رحلته، وهو سرد يدل على التفاعل الإيجابي بين الراوي (ابن شهيد) والمروي له (ابن حزم) بل لقد استلهم ابن شهيد عنوان رسالته من تلك المحاورات، ولا غرابة فابن حزم هو القائل عن ابن شهيد: " وأقسم أن له تابعة تنجده وزابعة تؤيده"(٣)

ومن التراجم التي تضيء النص وتسلط الضوء على إحدى الشخصيات التي ورد ذكرها في متن الرسالة ترجمة البستاني لقيس عيلان "وهو أبو قبيلة مضرية مشهورة وعيلان اسم فرسه وأخوه إلياس المعروف

(١) السابق ١٠٥

(٢) التوابع والزوابع ٨٧

(٣) السابق ٨٨

باسم خندف"(١) ويتصل بذلك ترجمته لحذيفة بن بدر بقوله: "سيد بني فزارة قتل في حرب داحس والغبراء"(٢)

ومن الهوامش ما يجمع بين التعليق على الأحداث والشرح لبعض العبارات الواردة في المتن، ففي لقائه بتابع أبي نواس نراه يستنشده جحدريته في السجن، ويأتي التعليق في الهامش ليقصّ علينا أصل العبارة قائلا: "جحدريتك: نسبة إلى جحدر، وهو رجل من بني جشم بن بكر كان يخيف السبيل بأرض اليمن فبلغ خبره الحجاج فشدد في طلبه حتى ظفر به فأمر بحبسه فحبس، فنظم في سجنه قصيدة جميلة يرثي بها نفسه ويحنّ إلى بلاده ويستعطف الحجاج بقوله:

أحاذر صولة الحجاج ظلما وما الحجاج ظلّام لجان

فبلغ شعره الحجاج، فأحضره بين يديه وقال: أيهما أحب إليك، أن أقتلك بالسيف، أو ألقيك للسباع؟ فقال أعطني سيفا وألقني للسباع، فأعطاه سيفا وألقاه إلى أسد مجوع فزأر الأسد وتلقّاه جحدر بالسيف ففلق هامته، فأعجب به الحجاج وأكرمه وجعله من أصحابه(٣)

وفي هامش آخر يروي البستاني قصة إحدى قصائد ابن شهيد قائلا: "قعد الوزير أبو عامر بن شهيد بباب الصومعة من الجامع في لمّة من الإخوان، فمرّت جارية من أعيان أهل قرطبة ومعها من جواريها من يسترها ويواريها، وهي ترتاد موضعا لمناجاة ربها منتقبة خائفة ممن يرقبها وأمامها

(١) السابق ١٠٠
(٢) السابق ١٢٧
(٣) التوابع والزوابع ١٠٩

طفل لها، فلما وقعت عينها على أبي عامر ولّت سريعة خيفة أن يشبب بها أو يشهّر باسمها، فلما نظرها قال هذه الأبيات ففضحها وشهّرها ومما جاء في هذه القصيدة:

وناظرة تحت طيّ القناع دعاها إلى الله والخير داع

سعت بابنها تبتغي منزلا لوصل التبتل والانقطاع

فجاءت تهادى كمثل الرؤوم تراعي غزالا بأعلى يفاع

أتتنا تبختر في مشيها فحلّت بواد كثير السباع

وريعت حذارا على طفلها فناديت يا هذه لن تراعي

فولّت وللمسك من ذيلها على الأرض خطّ كظهر الشجاع (١)

وفي أحيان كثيرة تنبعث الأضواء في متن النص لتتجاوب أصداؤها في الهامش فيستحيل النص بقعة هائلة من الضياء تلتذ بها النفوس وتأنس بها الأذواق، فابن شهيد في رحلته الخيالية يلقى تابع أبي تمام ويخاطبه بقوله: فبعمرو والقمر الطالع وبالرقعة المفكوكة الطابع إلا ما أريتنا وجهك... وهنا تظهر الحاجة إلى الهامش الذي يفسر تلك الألغاز ويأخذ بيد القارئ الذي يتطلع لمعرفة السر في اختيار هذا القسم وتخير تلك العبارات: "الطابع: بفتح الباء وكسرها: الخاتم الذي يطبع به، يشير إلى قول أبي تمام:

يا عمرو قل للقمر الطالع اتسع الخرق على الراقع

(١) السابق ١١٠

يا طول فكري فيك من حامل لرقعة مفكوكة الطابع(١)

وعلى هذا النحو من الشرح والتعليق والتفسير والتأويل يأتي الهامش ليؤكد أهميته وحاجة القارئ إليه في إضاءة النصوص وتوضيح المعاني والتعليق على الأحداث، ويثبت بما لا يدع مجالا للشك أهمية تلك العتبات وحتمية الوقوف عليها ما دامت الغاية هي دراسة الإبداع بكل دقائقه وتفاصيله.

(١) التوابع والزوابع٩٨

الخاتمة

تناولت صفحات البحث أحد النماذج السردية في الأدب العربي وهو رسالة والزوابع لابن شهيد الأندلسي، وفيها يقوم الكاتب برحلة خيالية إلى عالم الجن ويستدعي توابع الشعراء الجاهليين والعباسيين كي ينشدهم شعره ويظفر بإجازتهم له وإقرارهم بموهبته.

- اتخذ البحث من العتبات منطلقا له نظرا للتلاحم بينها وبين مضمون النص بطريقة تمهد السبيل أمام القارئ لاستيعاب الرسالة بسهولة ويسر.
- تضمن التمهيد الترجمة للكاتب وإلقاء الضوء على سماته النفسية ومكانته الأدبية وعلاقاته الاجتماعية وما يكتنفها من خصومات كانت سببا في إبداع تلك الرسالة الخالدة،
- كما تضمن التمهيد تأصيلا للعتبات مع الإشارة إلى إلمام القدماء ببعض نماذجها كالعنوان والتصدير والخط وحسن الابتداء والخاتمة ... إلخ، وتزايد الاهتمام بها في العصر الحديث مذ ألف جيرار جينيت كتابيه: عتبات وأطراس مما كان له أعمق الأثر في إقبال الباحثين على هذا النوع من البحوث،
- أظهرت دراسة عتبة العنوان ما يتسم به عنوان الرسالة من الارتباط بمضمونها من حيث دلالته على القوة الخارقة والموهبة النادرة والتفاعل الإيجابي مع ينابيع التراث الشعري مما يؤكد إضاءة العنوان للمتن وإفضاء المتن للعنوان، كما كشفت العناوين الفرعية والعناوين فرعية الفرعية النقاب عن التعالق بين الأسماء والمسميات، وقدرة ابن شهيد على اختيار العناوين والأسماء والألقاب والأماكن التي تسهم في الوفاء بالمقاصد الفنية والغايات الأدبية.

- أثبتت دراسة الاستهلال جدواها في التعريف بالنص والكشف عن دواعي كتابته وتسليط الضوء على مضمونه ومحتواه؛ لأنه يمثل خطابا مستقلا ونموذجا أدبيا له مقوماته وعناصره، كما أنه بوابة الدخول إلى عالم النص الذي يتضمن أحداثا أسطورية وحكايات عجائبية.
- أسهمت العتبات الموازية كالغلاف ومكوناته والعناوين الفرعية وامتدادها وكذا الحواشي والهوامش في إضاءة ما حول النص من خلال ما أسداه بطرس البستاني لهذه الرسالة من تحقيق وشرح وتبويب فضلا عن الدراسة الأدبية التي استوعبت الكاتب ورسالته وعصره.

الحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

أدب الكتاب لأبي بكر الصولي ت أحمد حسن بسبح الطبعة السلفية ١٣٤١

تاريخ الأدب الأندلسي د. إحسان عباس دار الثقافة بيروت الطبعة الثانية ١٩٦٩

تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع ت د. حفني محمد شرف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

تجليات التناص في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد، لطيفة بوزيان د.ت

تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص د. محمد مفتاح المركز العربي الدار البيضاء ط ٣، ١٩٩٢

دراسات في الأدب الأندلسي، د/ محمد سعيد محمد، منشورات، جامعة سبها ليبيا د. ت

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني تحقيق الدكتور إحسان عباس دار الثقافة بيروت ١٩٩٧

رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، دراسة سيمائية سليمة عقوني جامعة باتنة الجزائر ٢٠٠٨

رسالة التوابع والزوابع لابن شُهيد الأندلسي ت بطرس البستاني دار صادر بيروت لبنان ط الثانية ١٩٩٦

رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ت د.عائشة عبد الرحمن دار المعارف ط التاسعة ١٩٧٧

شعرية النص الموازي (عتبات النص الأدبي) جميل حمداوي دار الريف المغرب الطبعة الثانية ٢٠٢٠

شياطين الشعراء، د/ عبد الرازق حميده مكتبة الأنجلو، ١٩٦٥

الصناعتين، الكتابة والشعر ت علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان ١٤١٩هـ

عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص عبد الحق بلعابد الدار العربية للعلوم ط١، ٢٠٠٨

عتبات الكتابة في الرواية العربية، عبد المالك أشهبون دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية، سوريا ط الأولى ٢٠٠٩

عتبات النص في الرواية العربية د.عزوز على إسماعيل الهيئة المصرية العامة ٢٠١٢

العتبات النصية في روايات محمد علوان منى خلف العنيزي م طبعة الانتشار العربي ١٤٤٢

العتبات النصية في رواية أنثى السراب لواسيني الأعرج ابتسام جيلالي الجزائر جامعة الجيلاني ٢٠١٦

لسان العرب لابن منظور دار صادر

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي دار الكتب العلمية ١٤١٨

المعارضات في الشعر الأندلسي، يونس طركي البخاري، دار الكتب العلمية، ط أولى، ٢٠٠٨

مقامات بديع الزمان الهمذاني ت الشيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، ط الثالثة، ٢٠٠٥

النص والنص الموازي للدكتور حسن حجاب الحازمي كرسي الأدب السعودي ٢٠١٨

النثر الفني في القرن الرابع الهجري، مؤسسة هنداوي د. ت

الدوريات

دلالة أسماء الشخصيات في الرواية الأردنية دراسة سيمائية في نماذج مختارة د. عماد الخطيب مجلة جامعة القدس المفتوحة ٢٥ أيلول ٢٠١١

نجيب محفوظ واختيار أسماء أبطال رواياته مقال للكاتب صبري زمزم الأهرام ٢٠٠٧/٧/٢

قراءة في رواية خان الخليلي، د/ إسحاق البنداري، جريدة الفكر الحر الإلكترونية ٢٠١٩/١٢/٢م.

عتبات النص الأدبي باسمة درمش مجلة علامات، النادي الثقافي جدة ج ٦١ مجلد ١٦سنة ٢٠٠٧

شعرية الهوامش في مجموعة (سكر أحمر) لنور الدين كرماط، جميل حمداوي، مقال منشور في موقع دفاتر التربوية بتاريخ ٢٠١٣/٤/١٤

محتويات البحث

الموضـوع
ملخص البحث باللغة العربية
ملخص البحث باللغة الإنجليزية
التقديم
التمهيد
أضواء على شخصية الكاتب
العتبات الرؤية والتأصيل
المبحث الأول:العنوان
المبحث الثاني:الاستهلال
المبحث الثالث:العتبات الموازية
الغلاف
العناوين
الحواشي والهوامش
الخاتمة
المصادر والمراجع
الفهرس